كفُّ الأذَى

مركز نون للتأليف والترجمة

شبكة المعارف الإسلامية

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

كَــفُّ الأذى

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠
ص.ب. ٥٣/ ٢٤ . ٢٥/٣٢٧

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: كهف الأذى
تأليف: مركز نون للتأليف والترجمة
نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
الطبعة الأولى شباط 2010م - 1431هـ

كف الأذى

مركز نون للتأليف والترجمة
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيّد الرسل، الذي بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين، سيّدنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله، وعلى آله الأطهار البررة.

إنّ الرقيّ الإنسانيّ يستشفّ من رقيّ علاقة الإنسان بما يحيط به، وما ذلك إلّا لأنّ الإنسان بما زوّده الله تعالى وفضّله به على سائر خلقه من العقل، يستطيع من خلال تسليطه على تصرّفه في نفسه وفي محيطه الاجتماعيّ، من الرقيّ إلى أعلى مراتب الإنسانيّة، وبالتالي الحفاظ على محيطه في حالةٍ يسمّيها البعض بالتحضّر، وآخرون بالكمال، إلّا أنّها في النهاية هي الحالة المثاليّة التي يأملها كلّ إنسان ذي فطرة سليمة، وكلّ ساعٍ نحو الكمال.

ولأنّ هذا الكمال لا يتحقّق إلّا من خلال تكامل العلاقات الاجتماعيّة، وعلاقة الفرد بمحيطه بشكل عامّ، كان لا بدّ من تسليط الضوء على موضوع يحتلّ الصدارة في أولويّات دعوات الأنبياء، وكلّ دعاة الكمال، وهو الخلق الكريم، الذي يتحقّق بكفّ الأذى والنزعات المفرطة للهوى، وفي المقابل يؤدّي ذلك إلى جلب الخير والمنفعة للإنسان وللمجتمع.

ومـا بيـن يديك عزيـزي القـارئ؛ نظرة مـن جهات متعـدّدة لهذا المفهـوم الكبير، ومحاولـة لتسليط الضوء على أهـمّ جوانبه عسى أن يكـون هذا الكتاب معيناً ينهل منـه كلّ روّاد الخير، ويستفيد منه دعاة الإصلاح، ويتروّى منه طالبو المعرفة.

نسـأل الله سبحانـه وتعالى أن نوفّق لكلّ ما يحقّـق الكمال والقربى منه، إنّه سميع مجيب الدعاء.

مركز نون للتأليف والترجمة

الفصل الأول

* ما هو الأذى؟

الأذى

تمهيد:

يقول الله تعالى فـي محكم آياته وفصل خطابه وعظيم قرآنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِـرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَـدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْـتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيـمٍ * وَمَـنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِـلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِيـنَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

تتحدّث الآية الكريمة فـي مطلعها عن الاستقامة، واصفةً ثلّةً من المؤمنين بأنّهم آمنوا بالله، ثـمّ استقاموا، وفسّر العلماء الإستقامة هاهنـا بالعمل علـى مقتضى الإيمـان بالله تعالـى ونبيّه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، أي على هداهم وما أمروا به عن الله تعالى.

ثمّ ذكرت الآية الشريفة ما أعدّ لهم الله تعالى على الإيمان والاستقامة، وذكـرت فضل الدعوة لله تعالى والعمل الصالح، ومن ثمّ ذكرت أمراً في غاية الأهمّيّة، وهو الشاهد الأهمّ الذي سنسلّط الضوء عليه، ألا وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

---

(١) فصّلت: ٣٠ – ٣٤.

آثار الإحسان والإساءة

في نظرة دقيقة لهذه الكلمات النورانيّة، نستشفّ منها إشارات هي لبُّ الأخلاق، وأساس الفضيلة، منها:

١ – إنّ الحسنة والسيّئة وإن كانتا من ناحية إرادة الإنسان أمرين يصدران بالإختيار،إلّا أنّهما من جهة الأثر مختلفتان.

فالحسنة والسيّئة لا يمكن أن يُنظر إليهما في علم الأخلاق على أنّهما مجرّد فعلين صادرين عن إنسان مختار، يمكنه أن يفعل ما يحلو له، بل ينبئان عن مسلك اجتماعيّ يختاره الإنسان، وعن أثر يتركه اختيار أحد هذين المسلكين.

فالحسنة وإن كانت تعود بالنفع الأخرويّ على صاحبها بالدرجة الأولى، إلّا أنّ لها أثراً لا يمكن التغافل عنه في الدنيا، وهو التأثير في المحسن إليه، حتّى ولو لم يكن من البشر، بل من ذوي الأرواح، فحتّى الإحسان للشجرة من خلال تشذيب أطرافها وتجميلها، يترك فيها أثراً ظاهراً، وكمالاً في حسن نموّها وحسن مظهرها.

وكذلك الإساءة لا يمكن التغافل عن أثرها على المُساء إليه، ولو كان من غير البشر أو ذوي الأرواح، فحرق الشجرة – وهو عدوانيٌّ – يدمّر مظهرها، ويمنعها من النموّ، ويحرمها من الثمر.

٢ – إنّ قدرة المرء واختياره وإرادته المتعلّقة بفعل الخير والشرّ واحدة، وحينما يتحرّك باتجاه العدوان فإنّه لا يقصد الأذيّة غالباً، بل يقع في الخطأ، أو تحت تأثير ضغط الرغبات النفسيّة الجامحة، وإلّا فإنّ لديه نزعة لحبّ الخير والإحسان.

أمّا المتحرّر من قيود الأخلاق، والمفرط في اتّباع الهوى وشهوات النفس، فإنّه – ومن خلال الأنانيّة التي تتحكّم بمجمل تصرّفاته –

يتسبّب بالأذى المقصود لكلّ ما يحيط به، وهذا ما لا يحتاج إلى استدلال، بل ما يرى في واقع الحياة.

ولكنّ هذين التصرّفين في نهاية المطاف، خاضعان لإرادة الإنسان، ففي الحديث القدسيّ: «**يا ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً، بصيراً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك**»[1].

أي بمحض اختيارك وسوئه أيضاً، فلم يجبرك أحد على اقتراف المحاذير، بل إنّ فطرتك السليمة محبّة لعمل الخير، ولكّنك بسبب أنانيّتك وحبّك لإشباع رغباتك تسبّبت بالأذى، وتركت الهداية، وغرقت في عالم المعاصي.

وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، لأدلّ دليل على أنّ الإنسان يعلم في النهاية ما هو الحسن، من خلال عقله وفطرته السليمة.

كفّ الأذى هو الأخلاق

إذا كانت الإساءة والإحسان بمقدور المرء، وهما خاضعان تحت سلطان إرادته، فإنّ على كلّ ذي لبّ وعقل أن يختار الحسن، وأن يترك ما تدعوه إليه غريزته وهواه، وهذا ما أشار إليه الكثير من علماء الأخلاق، يقول المولى المازندراني قدس سره: «**الأذى لفظ شامل لجميع أنواع الخصال المذمومة، مثل الضرب والشتم والهجو والغيبة والتهمة وغيرها، وإنّما كان كفّ الأذى من كمال العقل، لأنّ العاقل**

(١) الكليني - الكافي - دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ١ ص ١٦٠.

يعلـم أنّ الغرض الأصليّ، مـن الخُلق هو الوصول إلـى جناب عزّته، والطيران في حظاير قدسه بأجنحة الكمال مع الملائكة المقرّبين، وأنّ ذلـك كمـا يتوقّـف علـى عبادة الرحمـن، كذلك يتوقّـف على كفّ الأذى عن الإخوان، فكما أنّ صرف الهمّة في العبادة من كمال العقل، كذلك صرف النفس عن الأذى»[1].

الأذى غريزة حيوانيّة

لأنّ الحيـوان لا تتحكّم بـه سوى الغرائز، فغريزة حـبّ البقاء لديه تدفعـه للحفاظ على حياته، وتناول الطعام الـذي يقويّه، وكذلك تدفع للتناسـل،إلّا أنّ الحيـوان لا تقف أمام رغبته أيّـة عثرة، لأنّه حين ذاك سيقـوم بتذليلها، وتحطيم كلّ من يعترضـ طريقه في سبيل تحقيقها، ولذا نرى البهائم تتعارك فيما بينها لأجل الحصول على الأنثى، والطعام والوفير، والسيطرة على القطيع إذا كانت من النوع الاجتماعي.

ولأنّهـا لا تمتلك العقل، فإنّها لا تُلام على تصرّفها، ويعتبر عدوانها علـى بني جنسهـا أمراً عاديّاً غير مستنكَر، بخـلاف الإنسان، فإنّه ذو عقـل يستطيع من خلاله كبح حالـة العدوانيّة التي تعتريه، حينما تقف السدود أمام رغباته وتحقيقها، وهذا ما يميّزه عن البهائم، ولهذا يُلام الإنسـان وتقام النظم لمحاسبته في حالـة عدوانه، ولهذا عدّ الإنسان **«المـؤذي بمنزلـة البهائـم والسبـاع، عاريـاً عـن حلية العقـل، ويعلم أيضـاً أنّ ترك الأذى يوجب التعاون والتعاطف والتراحم، والتواصل والتظاهر والتآخي، والتآلف والتودّد والإجتماع»**[2].

---

(١) شرح أصول الكافي – مولي محمّد صالح المازندراني – ج ١ ص ١٩٥.

(٢) م.ن.

تنوّع الأذى

يتخيّل البعض أنّ الأذى هو أن تقدم على أذيّة أخ لك في الإنسانيّة، ويحصـر المفهوم الواسع له بهذا المثال الصغير. إلّا أنّ الأذى هو أعمّ من هذا المعنى، وهو واسع بسعة الكون.

فبـدءاً مـن الأذى للأنبياء والرسـل، ومروراً بـأذى الناس، والأذى الاجتماعيّ العامّ، وأذى البيئة والطبيعة، وصولاً إلى أذى النفس.

هذه الأنواع المتعدّدة من الأذى، تتفرّع منها عناوين كثيرة، وسنتعرّض في الأبحـاث اللاحقة بشكل تفصيليّ لهذه التصرّفـات، ونسلّط الضوء عليهـا من خلال استفادتنا من كتـاب الله تعالى، والروايات الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وآل البيت عليهم السلام.

ارحموا ثلاثاً

إنّ الإسلام هـو دين الرحمة، يقول سبحانـه وتعالى مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]. فمن الطبيعيّ أن نلاحظ في كلّ التشريعات التي جاء بها هذا الحرص والتأكيد على كفّ الأذى، كان الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مثالاً عاليـاً للرحمة والتسامح والعفو، فحينمـا فتح مكّة عفا عـن أهلها الذين طالما آذوه وطردوه منها، وشنّوا الحروب والمؤامرات عليه، وأمرنا دوماً بالعفو، ومن تعليماته المشهورة قولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ارحمـوا ثلاثاً، وحقّ لهم أن يرحمـوا: عزيزاً ذلّ من بعد عزّه، وغنيّاً افتقر من بعد غناه، وعالماً ضاع ما بين الجهّال**»[2].

وكذلـك كان أهل بيتـه عليهم السلام ينابيعَ يتفجّر منهـا الحلم والرحمة،

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧٤ ص ١٤٠.

وقـد وصف الله تعالى رحمتهم للخلق وإيثارهم للناس على أنفسهم في سورة الدهر، وهم يجسّدون أعظم أنواع الرحمة الإنسانيّة حينما باتوا جياعـاً وقد أعطوا كفاف يـوم صومهم وإفطارهـم لمسكين في اليوم الأوّل، وليتيـم في اليوم الثاني، ولأسير في ثالث الأيّام، فقال فيهم جلّ وعـلا: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [1].

وهذا إمامنا الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يبكي على قاتليه يـوم عاشوراء، شفقة منه عليهم، ورحمة بهم لما سينالهم من الغضب الإلهـيّ، فأيّ نماذج إنسانيّة أرقى من هذه النماذج التي لم تكفّ أذاها فقط، بل ارتقت لتملأ الدنيـا بالخير، وتعمرها بالرحمة، وتهديها إلى سبل الكمال.

(١) الإنسان: ٧ – ٩.

الفصل الثاني

* كفّ الأذى عن الله ورسوله

كفُّ الأذى عن الله ورسوله

تمهيد:

يقول سبحانه وتعالى في محكم آياته وفصل خطابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

ممّا لا ريب فيه أنّ الله تعالى غنيٌّ عن الخلق، غير محتاج إليهم في شيء من أعمالهم وعباداتهم، وكذلك لا تضرّه المعصية ومخالفة أوامره، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه**»[2].

فما المراد من قول الله تعالى يؤذون اللّه؟

يقول العلّامة الطباطبائيّ مجيباً عن هذا السؤال: «**من المعلوم أنّ الله سبحانه منزّه من أن يناله الأذى وكلّ ما فيه وصمة النقص والهوان، فذكره مع الرسول وتشريكه في إيذائه تشريف للرسول، وإشارة إلى أنّ من قصد رسوله بسوء فقد قصده أيضاً بالسوء، إذ ليس للرسول بما أنّه رسول إلّا ربّه، فمن قصده فقد قصد ربَّه. وقد أوعدهم باللّعن في الدنيا والآخرة، واللّعن هو الإبعاد من الرحمة،**

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ ص ١٦٠ - خطبة المتّقين.

والرحمة الخاصة بالمؤمنين هي الهداية إلى الإعتقاد الحقّ وحقيقة الإيمان»[1].

فالمراد إذاً أنّ من يتوجّه بالأذيّة إلى الرسول ﷺ ويقصدها فكأنّما يتوجّه لله تعالى بالأذيّة، فما هي الأمور التي تؤذي الرسول الأكرم ﷺ؟

هذا ما سنتعرّض إليه بذكر بعض النماذج منها، سائلين الله تعالى أن ينزّهنا عن هذا العمل، الذي لا شكّ أنّ عاقبته الغضب الإلهيّ المحتّم، كما بيّنت الآية الشريفة.

١ - التكذيب برسالته ﷺ

وليس المراد هنا التكذيب بمعنى الكفر الصريح، كأن يقول الإنسان إنّ الرسول ليس نبيّاً والعياذ بالله، فمن الواضح أنّ التصديق بالنبوّة من أسس الإسلام،إلّا أنّ المقصود عدم التكذيب بالعمل، وهذا ما قد يقع فيه الإنسان من حيث لا يلتفت، كإنكار بعض الفرائض، والتشكيك في الأحكام الإلهيّة التي أتى بها ﷺ، كما حدث يوم الغدير، حينما بلّغ الناس بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ينقل لنا التاريخ هذه القصّة: «**إنّه لمّا بلّغ رسول ﷺ بغدير خمّ ما بلّغ، وشاع ذلك في البلاد، أتى الحارث بن النعمان الفهريّ، وفي رواية أبي عبيد جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العيدريّ فقال: يا محمّد أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وبالصلاة والصوم والحجّ والزكاة فقبلنا منك، ثمّ لم ترض بذلك حتّى رفعت بضبع ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت من**

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٦ ص ٣٣٨.

كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك أم من الله، فقال رسول الله ﷺ: والذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله، فولّى الحارث يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر، فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1]»[2].

فهذا نوع من أنواع التكذيب الذي نقله التاريخ، ونوع آخر هو في إنكار أحكام الشريعة التي ينقلها إلينا العلماء العظام عن أبواب مدينة علمه عنه ﷺ، كمن يستحل الخمر مكذّباً بما جاء به الرسول ﷺ من تحريمها وهذا لا يقل شأناً عن الكفر بالرسالة، وهو من موجبات إقامة الحدّ، لأنّه بمستوى الإرتداد عن الدين، يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**من شرب الخمر مستحلاً لشربها أصلاً وهو مسلمٌ استتيب، فإن تاب أقيم عليه الحدّ، وإن لم يتب ورجع إنكاره إلى تكذيب النبيّ صلّى الله عليه وآله قتل، من غير فرق بين كونه ملّيّاً أو فطريّاً**»[3].

٢ - أذيّة الرسول ﷺ في أهل بيته عليهم السلام

فأذيّة آل البيت عليهم السلام هي أذيّة للرسول بالدرجة الأولى، وهذا ما بيّنته العديد من الروايات الشريفة؛ منها ما روي عن الرسول الأكرم ﷺ: «**من آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه**»[4].

---

(١) المعارج: ١.

(٢) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ ص ٢٤٠.

(٣) تحرير الوسيلة - السيد الخميني - ج ٢ ص ٤٨١.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥ ص ٦٩.

كمـا جرى على أهل بيته عليهم السلام من بعده من أذى، إذ يصفهم إمام الزمان - روحي لتـراب مقدمه الفداء - في دعاء الندبة قائلاً: «**ولمّا قضـى نحبه**[1]، **وقتله أشقـى الآخرين يتبع أشقى الأوّلين، لم يُمتثل أمـر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـي الهادين بعد الهادين، والأمّـة مصرَّة على مقتـه، مجتمعـة علـى قطيعة رحمـه وإقصـاء ولـده، إلّا القليل ممّن وفـى لرعايـة الحقّ فيهـم. فقتل من قتـل، وسبي من سبـي، وأقصي من أقصي، وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة، إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين**»[2].

٣ - أذيّته من الذنوب

يقول الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[3].

فالرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يرى أعمالنا حين تعرض عليه، وحينما يرى ذنوبنا يتأذّى حتماً منّا، كيف لا وهو من قال: «**وأنا وعليّ أبوا هذه الأمّة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ**»[4].

فـإذا كان الواحد منّا يتأذّى من ولده لو قام بعمل غير مناسب عند ضيـف نزل عليه، فكيـف بالرسول صلّى الله عليه وآلـه، وهو المبعوث رحمـة للعالمين. أن ينشر صحائف أعمالنا. ويرى ذنوبنا بمحضر الله تعالى، ألا يسبّب له هذا حزناً وأذى ؟

يقـول أحـد العلماء أنَّ سكّين الشمر حينمـا كان يمتدّ لأقدس نحر،

---

(١) أي أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس - ج ١ ص ٥٠٨.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٦ ص ٣٦٤.

هــو أسهل على أبــي عبد الله الحسين عليه السلام من رؤيته لذنب من ذنوب شيعتــه، نعم فهــو استشهد لأجل أن ينشر الفضيلــة، وبذل دمه الأذكى لينتشــر الخير، ويقام ديــن جدّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهــو الدين الذي يهذّب النفوس من جمــوح الحيوانيّة، ويسلكها مسلك الاعتــدال في إشباعها لهواها ورغباتها.

فلنحترس كلّ الوقــت كيــلا نتسبّــب لرســول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته عليهم السلام الذيــن يرون أعمالنا حين تعرض عليهم فــي الأذيّة لهم، فعن أبي عبد الله عليه السلام قــال: «**مــا لكــم تســوؤن رســول الله؟ فقال لــه رجل: جعلــت فداك فكيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك ؟ فلا تسوؤا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسرّوه**»[1].

وقــد جاء فــي الرواية عن الإمام الباقــر عليه السلام حين سئل عن قول الله تبــارك وتعالى ﴿**وَكَذَلِــكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطــاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَــى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾، قال:«**نحن أمّة الوسط ونحن شهداء الله**»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : «**إنّ الأعمال تعرض عليّ في كلّ خميس، فإذا كان الهــلال أكملــت، فــإذا كان النصــف من شعبــان عرضت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليّ عليه السلام، ثمّ ينسخ في الذكر الحكيم**»[3].

و عــن أبــي بصيــر عن أبــي جعفر عليه السلام قــال: «**الأعمــال تعرض كلّ خميــس علــى رســول الله، وعلــى أميــر المؤمنيــن صلــوات الله عليهما**»[4].

---

(١) م. س البحار، ج٢٢ ص ٣٤٩.

(٢) بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ٨٣.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٢٢ ص ٣٤٣.

(٤) م. ن. - ص ٣٤٤.

الفصل الثالث

* كفّ الأذى في الأسرة
* الجار
* الأصدقاء والزملاء
* الأجير

كفّ الأذى في الأسرة

تمهيد:

يقول إمامنا السجّاد زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «**وأمّا حقّ الزوجة فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك، وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها.**

وأمّا حقّ أخيك فأن تعلم أنّه يدك وعزّك وقوّتك، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله ولا عدّة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه، والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلّا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حقّ أمّك فأن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحي وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد، لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه. وأمّا حقّ أبيك فأن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه فاحمد

الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حقّ ولدك فأن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا ولّيته به من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّ وجلّ والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه».

هذه بعض الحقوق التي ذكرها الإمام السجّاد عليه السلام في رسالة الحقوق، وهي تختصر سلوك المرء في أسرته ومع أرحامه، وما سنسلّط الضوء عليه منها، هو ما يتعلّق بكفّ الأذى في النطاق الأسريّ.

كفّ الأذى عن الوالدين

لقد وقف الشارع موقفاً حاسماً من التعاطي بأيّ شكل من أشكال السلبيّة مع الوالدين، بل إنّ الله تعالى قرن طاعتهما بطاعته ونهى نهياً شديداً في آياته عن التعرّض لهما إذ يقول في محكم آياته: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]، ويقول في آية أخرى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2].

إنّ تكريم الوالدين فضلاً عن ترك أذاهما من أقلّ ما يمكن أن يقوم به الإنسان تجاه من بذل الغالي والنفيس في سبيل تربيته، وتعب في ليله ونهاره كي يقوده إلى أن يكون عنصراً ناجحا في أمّته، ولا يحتاج الإنسان ليستبين هذه الحقيقة إلى أن يقرأها في القرآن أو يستفيدها

(١) النساء: ٣٦.

(٢) الإسراء: ٢٣.

من أيّ حديث شريف، فالبرّ بالوالدين من الأمور التي تدعو إليها الفطرة السليمة النقيّة، وإنّ حقّ الوالدين هذا إنسانيّ بامتياز، قبل أن يكّون حقاً إجتماعيّاً أو شرعيّاً.

ولكن لننظر قليلاً لما أولاه الشرع من تأكيد على هذا البرّ، ولننظر كيف أشار الإمام السجاد عليه السلام في هذه الحقوق إذ يقول بعد أن يعدّد ما لفضل الأم على الولد من حيث تقديمها له على نفسها، إذ كانت تجوع ويشبع، وتسهر عليه لينام، جاعلاً مكافأة هذا الصنيع ممّا يحتاج إلى توفيق من الله تعالى يقول عليه السلام: «**وأمّا حقّ أمّك فأن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحي وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد، لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه**».

فإذا كان مقدار التأكيد على طاعتهما والبرّ بهما بهذه الدرجة من الأهميّة فما بالك بمن لا يتورّع عن جلب الأذى لهما في كبرهما، وهذا ما سنسلّط الضوء عليه وعلى عواقبه.

المجازاة بسوء الصنيع

في مقابل كلّ هذا التفاني والتضحية التي يقدّمها الوالدان للإبن، فإنّ أدنى ما يقال في أذاهما أنّه مجازاة لحسن الصنيع بعمل قبيح، على أنّ جزاء الإحسان إنمّا يكون بإحسان مقابل، يقول الله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[1].

(١) الرحمن: ٦٠.

وحينمـا نتحـدّث عن سـوء الصنيـع والأذى، يكون الـكلام عن كلّ أشكال الأذيّة التي يمكن أن يستشعر بها الوالدان، فالأب والأمّ يتوّقعان من الولد أن يكون:

١ – معيلاً لهما في كبرهما:

فيساعدهمـا على تخطّي العجز الجسـديّ، ولا سيّما الأب الذي قد يصـل لمرحلة لا يستطيع أن يعمل بها، بسبب العجز وعدم القدرة على تحمّـل المشقّـات. ومعيـلاً لهما من الجهـة المعنويّة، بحيـث يشعران بوجود من يمكنهما الاعتماد عليه، والدفاع عنهما إن ألمّ بهما أيّ سوء، وهذه حاجة نفسيّة في غاية الأهميّة لكبار السنّ.

٢ – مطيعاً لهما:

بمعنـى أن يستفيـد مـن تجربتهما فـي الحياة، وهي تجربـة طويلة، وحينما يقدّمها الأهل للولد مجّاناً، فإنّها تكون قد حدثت لهما بعد تحمّل الكثير من الشقاء والتعب.

٣ – مكرماً لهما:

بمعنـى أن يحافـظ على مكانتهمـا التـي احتلّوها بما بـذلاً لأجله، فيرفع مـن قدرهما، ويبيّن بين الناس محاسنهما، ويحفظ لهما حسن صنيعهما معه.

٤ – خلفاً صالحاً:

لأنّ من سعادة المرء في الدارين أن يخلفه ولد صالح، بحيث يكرمه

فــي حياته، ولا يهينه فــي مرحلة الشيخوخة والكبر، ويجــرّ إليه الذكر الطيّب والرحمات بعد وفاته، من خلال الأعمال التي يرسلها الحيّ إلى أهل البــرزخ، ومن خلال عمله الذي يذكّر النـاسـ بطيب أصله وحسن تربيته.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ثلاثة من السعادة: الزوجة المؤاتيــة، والأولاد البارّون، والرجل يــرزق معيشته ببلده، يغدو إلى أهله و يروح**»[1].

وعــن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «**مــن سعادة المرء أن يكون متجـره في بلده، ويكـون خلطاؤه صالحين، ويكـون له ولد يستعين بهم**»[2].

إنّ أيّ تخلّــف عن تحقيق هــذه الآمال التي ذكرناها، يعتبر نوعاً من العقــوق المنهيّ عنه في الشريعة، وهو أيضاً سلوكٌ لا يتناسب والفطرة السليمــة، الداعية لشكــر المنعم والمحسن، وسلــوكاً منحرفاً في نظر الضمير الإنسانيّ العامّ.

العقوق من الكبائر

عدّ العلماء العظام والفقهاء المجتهدون العقوق من كبائر الذنوب، بناءً على ما جاء في روايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، **يقول** الإمــام الخمينــيّ قدس سره: «**وأمّا الكبائر فهي كلّ معصيــة ورد التوعيد عليهـا بالنـار أو بالعقاب، أو شـدّد عليها تشديداً عظيمـاً، أو دلّ دليل علـى كونهـا أكبر من بعض الكبائر أو مثلهـا، أو حكم العقل على أنّها**

(١) الكافي-الكليني- ج ٥ ص٢٥٨.

(٢) م.ن. ج ٥ ص٢٥٨.

كبيرة، أو كان في ارتكاز المتشرّعة كذلك، أو ورد النصّ بكونها كبيرة، وهي كثيرة: «منها اليأس من روح الله، والأمن من مكره والكذب عليه أو على رسوله وأوصيائه عليهم السلام، وقتل النفس التي حرّمها الله إلّا بالحقّ، وعقوق الوالدين»[1].

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ من الكبائر عقوق الوالدين، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكر الله»[2].**

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: **«الكبائر: القنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكر الله، وقتل النفس التي حرّم الله، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البيّنة، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، فقيل له: أرأيت المرتكب للكبيرة يموت عليها، أتخرجه من الإيمان، وإن عذّب بها فيكون عذابه كعذاب المشركين، أو له انقطاع؟ قال: يخرج من الإسلام إذا زعم أنّها حلال، ولذلك يعذّب أشدّ العذاب، وإن كان معترفاً بأنّها كبيرة وهي عليه حرام، وأنّه يعذّب عليها وأنّها غير حلال، فإنّه معذّب عليها، وهو أهون عذاباً من الأوّل، ويخرجه من الإيمان، ولا يخرجه من الإسلام»[3].**

عاقبة العقوق العاجلة

إنّ هنالك نوعاً من الذنوب يعجّل به العذاب في الدنيا قبل الآخرة، وذلك لشدّة عظمة الذنب وقبحه الشديد، ومن تلك الذنوب عقوق

---

(١) تحرير الوسيلة - السيد الخميني - ج ١ ص ٢٧٤.

(٢) الكافي- الكليني- ج ٢ ص٢٧٨.

(٣) م. ن. - ج ٢ ص٢٨٠.

الوالديـن، فعن أمير المؤمنيـن عليه السلام أنّه قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **ثلاثـة مـن الذنـوب تعجّـل عقوبتهـا، ولا تؤخّـر إلى الآخـرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان**»[1].

ومـن عقوبات العقوق في الدنيـا زوال النعم التي منّ الله تعالى بها علـى العبد، والتـي أشير إليها فـي دعاء كميل بن زيـاد رحمه الله: «**اللهمّ اغفـر لي الذنوب التـي تغيِّر النعم**»، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**الذنوب التي تغيرّ النعم: البغي، والذنوب التي تورث الندم: القتل، والتـي تنزل النقم: الظلم، والتي تهتك الستور: شرب الخمر، والتي تحبس الرزق: الزنى، والتي تعجّل الفناء: قطيعة الرحم، والتي ترّد الدعاء وتظلم الهواء: عقوق الوالدين**»[2].

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٠ ص ٣٧٣.

(٢) م. ن، ص ٣٧٤.

الجار

تمهيد:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًـا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيـنِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِـبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَـتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[1].

إنّ المجتمـع الإسلاميّ يعتمد في علاقاتـه الاجتماعيّة على القيم التي أرستها الرسالة المحمّديّة، والتي حوت من التعاليم والإرشادات ما من شأنها أن تنتقل بالمجتمع من مجموعات لا يجمع بينها سوى القرب الجغرافـي، إلى مجتمع واحد تحكمه روابط عميقة ترتكز في النفوس، قبل أن تكون مجرّد مجاملات ظاهريّة يقتضيها ذلك القرب.

ومن أكثر ما يلفت النظر في هذا المجال، ما أولاه الدين الإسلاميّ من رعاية لحالة الجوار، وما جاء فيه من كثير من الأحاديث، والتأكيد القرآنـيّ عليه بالدرجة الأولى، فإذا لاحظنا هـذه الآية الشريفة، التي تدعـو بشكل واضح لإيلاء الجـار ذي القربى والجار الجنب حقّه، فمن الواضـح أنّ هنالـك ما يترتّب على هـذه القرابة من حقـوق، وهذا ما سنحاول الإضاءة عليه في هذا الدرس.

---

(١) النساء: ٣٦.

وسنتعرّض في بداية الدرس إلى مسألة في غاية الأهميّة، عن الروابط التي تربط بين البشر لنصل من خلالها إلى فهم الأساس الذي بنيت عليه هذه الدعوة لحقّ الجوار والجار.

الروابط بين البشر

لا شكّ بأنّ ما يجمع البشر بشتّى ألوانهم وأديانهم وانتماءاتهم السياسيّة والمذهبيّة، أكبر من مجرّد السكن على كوكبنا الأزرق، وهو الرابط الإنسانيّ.

فالإنسان أخو الإنسان، وكلّنا من نسل واحد يرجع إلى آدم عليه السلام، وهذا رابط أساس لا بدّ من عدم الغفلة عنه، وقد أشارت إليه الروايات الشريفة، فعن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيّها الناس إنّكم من آدم وآدم من طين، ألا وإنّ خيركم عند الله وأكرمكم عليه اليوم أتقاكم، وأطوعكم له، ألا وإنّ العربيّة ليست بأبٍ والد، ولكنّها لسان ناطق**»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق**»[2].

فالرابط الأوّل بين الناس هو الرابط الإنسانيّ بالانتساب إلى آدم عليه السلام.

رابط آخر يجمع ما بين الناس، وهو الانتماء الدينيّ، فهناك قوم يتبعون ديناً ما، وآخرون يتبعون ديناً آخر، وتشكّل كلّ مجموعة منتسبة إلى دين ما طائفة، تتوحّد فيما بينها من خلال التديّن بدين واحد، ويربط بينها رابط دينيّ، فالمسلم أخو المسلم، يربط بينهما الإعتقاد

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢١ ص ١٣٨.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ ص ٨٤.

والإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وثمّة رابط آخر يجمع من بين الناس، وهو الرابط بالنسب والقرابة، كالخال والعمّ والجدّ والحفيد، والصهر والعمّ والد الزوجة، فهذا الرابط يجمع ما بين الناس أيضاً، وقد يسمّى الرابط العائليّ.

ومن الروابط التي تربط بين البشر رابط القرب الجغرافيّ، فسكّان قارّة آسيا يجمعهم عنوان «الآسيويّون» وكذلك الحال في القارات الأخرى، ولكنّ الرابط الجغرافيّ، يضيق شيئاً فشيئاً لحدود المدينة والقرية، ومن ثمّ الحيّ السكنيّ وصولاً إلى الجوار.

قيمة الجار في الإسلام

لقد نظر الإسلام نظرة خاصّةً إلى الجوار، هي أبعد ما تكون عن مجرّد حالة من حالات التجمّع الإنسانيّ المشكّل للمجتمع، ولكنّه أراد من خلال ما افترضه من حقوق بين المتجاورين وآداب للتعاطي بينهم فرض السلام الاجتماعيّ المبنيّ على المودّة والاحترام المتبادل، لذا كان الوحي يتنزّل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دوماً، منبّهاً وموصياً بحفظ الجار وأداء حقّه، ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**قيل يا نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفي المال حقّ سوى الزكاة؟**

قال: نعم برُّ الرحم إذا أدبرت، وصلة الجار المسلم، فما آمن بي من بات شبعان وجاره المسلم جائع، ثمّ قال: ما زال جبرائيل عليه السلام يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه»[2].

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧١ ص ٩٤.

ماذا يربطنا بالجار ؟

ذكرنا فيما سبق أنّ هنالك العديد من الروابط التي تربط بين البشر، وقد تشترك بعض هذه الروابط مع بعضها البعض كما هو حاصل لدينا في مسألة الجوار، ولهذا ينبّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنّه قد يكون للجار المسلم أكثر من حقّ الجوار، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاثة حقوق:**

حقّ الإسلام، وحقّ الجوار وحقّ القرابة.

ومنهم من له حقّان: حقّ الإسلام، وحقّ الجوار.

ومنهم من له حقّ واحد: الكافر له حقّ الجوار»[1].

من حقوق الجار

لخَّص الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام حقوق الجار في صحيفته السجاديَّة المباركة فقال:

«**وأمّا حقّ جارك، فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبّع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوّة إلا بالله**».

وسنضيء على بعض ما ورد من هذه الحقوق، والتي تتعلّق بشكل أساسيّ بكفّ الأذى، فأوّل هذه الحقوق:

---

(١) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ٨ ص ٤٢٤.

١ - لا تتبع له عورة

سواء بحفظ خصوصيّته فـي بيته، إذا كان بيتك مشرفاً على داره، بحيـث تغضّ الطرف عن النظر إلى داخلـه، وتكفّ بصرك عن عياله، وهـذا مـا كان من أخلاق العـرب ما قبـل الإسلام، وأكّـد عليه الدين الحنيـف. ففي الرواية عن رسول اللّه ﷺ : «**من ملأ عينه من حرام، ملأ الله عينه يوم القيامة من النار، إلّا أن يتوب ويرجع**»[١].

وليعلم المؤمن أنّه تحت نظر اللّه تعالى، وأنّ اللّه تعالى أمره بالستر علـى عـورات الناس، ولا سيّما الجار، وأنّ كـفّ البصر عن الحرام في هذه المواطن ممّا يورث المرء حلاوة من الإيمان، ويضيف لانتصاراته علـى الشيطان انتصاراً آخر، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : «**مـا اعتصـم أحد بمثل ما اعتصم بغضّ البصر، فإنّ البصر لا يغضّ عن محارم الله إلّاوقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال**»[٢].

وسئـل أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام : بما يستعان على غضّ البصر؟

فقال: «**بالخمود تحت سلطان المطّلع على سترك**»[٣].

فإنّـه وإن كان لا يـراك ناظر حين تنظـر لعورات الآخريـن، إلّا أنّ هنالك ناظراً يراك في كلّ سرّك وعلانيّتك ويراقبك، وملائكته تحصي عليك النظرة والطرفة، وما هو أدنى من ذلك.

(١) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ٤ ص ٣٢٩١.
(٢) م.ن. – ج٤ ص ٣٢٩٣.
(٣) م.ن. – ج ٤ ص ٣٢٩٣.

٢- أن تحفظه في غيبته

فترعـى حـال عياله وأطفالـه، وتقضي لهم من حوائـج الدنيا ما يحتاجـون إليه، فهذا من الحقوق التي لا ينبغـي التفريط فيها، ففي الرواية عن الإمام السجّاد عليه السلام: «**ولا تخرج أن تكون سلماً له، تردّ عنه لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة**»[١].

ولا بأس بالتنبيه إلى خصوصيّة الجار المجاهد، فإنّ رعاية حال عيالـه وحفظه في غيبته أوجـب في الحقوق، وحقّـه بجهاده يضاف إلـى حقّ الجوار وحـقّ الأخوّة في الإيمان، وعليه فـإنّ من حقّ الجار المجاهـد أن نكفّ عنه الأذى، ولا نخلفه في أهله خلافة السوء، ففي الروايـة عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**مـن اغتاب غازيـاً في سبيل الله أو آذاه أو خلفـه بسـوء فـي أهلـه، نصب له يـوم القيامة علمُ غدرٍ فيستفرغ حسناته، ثمّ يركس في النار**»[٢].

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧١ ص ١٧.

(٢) م. ن. - ج ٩٧ ص ٥٠.

الأصدقاء والزملاء

حقّ الصاحب:

عن الإمام زيـن العابدين عليه السلام «**وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالتفضل والإنصاف وتكرمه كما يكرمك ولا تدعه يسبق إلى مكرمة فإن سبق كافأته وتودّه كما يودّك وتزجره عما يهم به من معصية وكن عليه رحمة ولا تكن عليه عذاباً ولا قوّة إلا بالله**».

حينما ينهمك المرء وينشغل في متاعب الحياة، ويراكم كلّ هذا الكمّ الهائل من المشاكل التي تواجهه، فإنّه يحتاج إلى فسحة يستريح بها، ويستعيد من خلالها نشاطه وهمّته المتداعية.

وحينما ينفرد المرء وتعتلج المشاعر في نفسه، وتتضاربه الأفكار حينما يخطّط للحياة، فإنّه يحتاج لفسحة أخرى.

وحينما يضيق الصدر بما يحمل، يحتاج الإنسان إلى فسحة أيضاً، وهذه الفسحة هي الصديق والأخ في الله.

ورد في الرواية عن إمامنا الصادق عليه السلام: «**لكلّ شيءٍ شيءٌ يستريح إليه، وإنّ المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن، كما يستريح الطير إلى شكله**»[1].

إنّ الأخ في الله هو نعمة إلهيّة على العبد، لا تقدّر بكلّ كنوز الدنيا،

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج٧٤ ص ٢٣٤.

والتفريط بها لا يقلّ شأناً عن التفريط بأثمن النعم، كيف لا، وحال من فقد الصديق معروف لدى المجرّبين، من التعب والأرق والندامة.

فكيف نحافظ على هذه النعمة؟ وما هو موقف الشارع المقدّس من الإساءة إليها؟ هذا ما سنتعرّض له إن شاء الله تعالى، جعلنا الله وإيّاكم من المحافظين على نعمائه.

لماذا نكتسب الأصدقاء؟

لا بدّ للإنسان الاجتماعي من اكتساب الصديق، ولا غنى له عنه في زحمة الحياة، كيف لا والصديق أقرب الناس إلى الصديق، وهو المعين في وقت الضيق، والمشتكى حين لا سامع من سائر الناس، ولهذا أكّد أهل البيت عليهم السلام على اكتساب الإخوان، والإكثار منهم؛ ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**عليك بإخوان الصدق، فأكثر من اكتسابهم، فإنّهم عدّة عند الرخاء، وجُنَّة عند البلاء**»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا وإنّ المؤمنَين إذا تحابَّا في الله عزّ وجلّ وتصافيا بالله، كانا كالجسد الواحد، إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً، وجد الآخر ألم ذلك الموضع**»[2].

بل إنّ لاكتساب الأخ فضلاً عمّا في نفعه للدنيا أجراً في الآخرة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من جدّد أخاً في الإسلام، بنى الله له برجاً في الجنّة**»[3].

هذا مضافاً لعظيم نفعهم الأخرويّ وهو الشفاعة، أي شفاعة الأخ

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - الحديث ١٥٥.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج٧٤، ص٢٨٠.

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - الحديث ١٥٨.

لـلأخ والصديـق للصديق، وهذا هو أثمن ما يمكـن الحصول عليه في يـوم لا ينفـع فيه مالٌ ولا بنـون، فعن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إستكثروا من الإخوان فإنّ لكلّ مؤمن شفاعة يوم القيامة**»[1].

لا تفرّط بأخيك

لأهميّة هذا كلّه ينبغي عدم التفريط بالأصدقاء والإخوة المكتسبين فـي الله، ولهذا ينبغي مراعاة المشاعر بين الصديقين لكي يدوم الودّ بينهمـا، وسنسلّط الضوء على بعض ما يفسد الودّ، والذي ينبغي علينا تجنّبه قدر الإمكان للحفاظ على هذه النعمة الإلهيّة.

فممّا يفسد الودّ بين الأخوة المتحابّين في الله تعالى:

١ - ذهاب الحشمة

والمراد من ذهـاب الحشمة انعدام الحياء بين الأصدقاء والإخوة، وكثيـراً ما يحـدث هذا من خـلال التحـدّث بأمـورٍ خصوصيّة تخصّ الإنسان، وقد نهت الروايات عن هذا الأمر، فعن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «**لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، أبقِ منها، فإنّ ذهابَها ذهابُ الحياء**»[2].

٢ – ترك الحقوق

فتـرك الحقوق التي أرشدتنا إليهـا روايات أهل البيت عليهم السلام، يولّد التوتّـر في العلاقـة، لما يستتبع تركهـا من عتاب قد لا يكـون بالشكل اللائـق الـذي يعبّر عنـه بالنقـد البنّاء، فالكثيـر من النـاس لا تملك

(١) م.ن. – الحديث ١٦١.

(٢) وسائل الشيعة – الحرّ العاملي – ج ١٢ ص ١٤٦.

الأسلـوب المناسـب في الحـوار، وتحاول النقـد بشكل سلبـيّ للغاية، وباستعمـال عبارات خادشـة للأحاسيس، ممّا يولّد توتّـراً في العلاقة بيـن الأخوة، لهذا ينصح لتفادي هذا كلّـه، أن يبتعد الإنسان عن أصل المشكلـة، ومحاولة دَرْء هـذا التوتّر من خلال الالتـزام بالحقوق التي افترضت بين الإخوان في الله تعالى.

والحقـوق التـي أشـارت إليهـا الروايـات اختصرهـا إمامنـا زين العابديـن عليه السلام بقولـه في رسالة الحقـوق: «**وأمّا حـقّ الصاحب فأن تصحبـه بالتفضّـل والإنصاف، وتكرمه كمـا يكرمك ولا تدعه يسبق إلـى مكرمـة، فـإن سبق كافأتـه، وتودّه كمـا يودّك، وتزجـره عما يهمّ بـه مـن معصيـة، وكن عليـه رحمة، ولا تكـن عليه عذابـاً، ولا قوّة إلا بالله**».

خسارة الإخوان

ما أصعب أن تجد الصديق والأخ الذي يشعرك بأنّه النصف المكمّل لـك، والذي لا تجده إلّا أمامك حتّى في أحلك الظروف، والذي يؤنسك حيـن تُعييك السبل عن تنفيس الكـرب، فيكون الماء البارد الذي يزيح عنك حرارة الحياة وتعبها.

لكـن الأصعـب من هـذا كلّه، أن يضيـع منك هذا الكنـز في لحظة غضـب عابرة، أو خطـرة سوء ظنٍ مـن شيطان رجيم، مـن شياطين الإنس أو الجنّ.

هنا تكون الخسارة الفادحة التي لا يمكن التعويض عنها، وهنا قد لا ينفع الندم فيما لو كان جرح الأخ كبيراً فيصعب التئامه.

لذا إخوتنا لا نكن ممّن جاء فيهم الحديث عن لسان أمير المؤمنين علـيّ عليه السلام، إذ ورد عنـه قوله: «**أعجـز الناس من عجز عـن اكتساب الأخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم**»[1].

ولـو وقع بين الأخ وأخيه بينٌ وخلاف، فعلـى سائر إخوانهما السعي فـي إصـلاح ذات بينهما، ومحاولة ردم الهوّة التـي وقعت بينهما، ولأم الجـراح التي أسعدت حال إبليس، الذي أفـرح ما يفرح به الوقيعة بين أخوين، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[2].

كمـا أنّه علينا إذا جاءنـا أخ في الله معتذراً أن نقبل العذر منه، لأنّ تـرك المعذرة من شيـم اللئام، وجاء في الحديث عـن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ أخـاك حقّـاً مـن غفـر زلّتك، وسـدّ خلّتـك، وقبل عذرك، وستر عورتك، ونفى وجلك، وحقّق أملك**»[3].

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٥٩.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) غرر الحكم ح / ٣٦٤٥.

الأجير

تمهيد:

يقـول الله تعالى فـي محكم كتابـه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَـةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَـا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَـوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

التصـوّر السائد لـدى كثير من أهل الغنـى أنّ استخدامهم لأجراء يعملـون لديهم يجعلهم الأعلى مقاماً، هذا ما تشير إليه الآية الكريمة، منبّهة إلى أنّ التكامل في الحياة يكون من خلال تسخير البشر لبعضهم البعض، فيستفيد الأجير من مال الغنيّ ومتاعه، مقابل ما يقدّمه له من خدمـات يعجز عن أدائها بنفسه، بسبب عدم توفّر الخبرة اللازمة، أو عدم قدرته على مباشرتها بنفسه.

يقـول آية الله ناصـر مكارم الشيرازي دام ظله معلّقـاً على الآية: «**إنّ وجـود التفاوت والاختلاف بين البشر من ناحيـة مستوى المعيشة، لا يـدلّ علـى تفاوتهم فـي المقامات والمنازل المعنويّـة مطلقاً، بل: نحـن قسمنـا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجـات، ليتّخـذ بعضهـم بعضـاً سخريّاً. لقـد نسي هـؤلاء أنّ حيـاة البشـر حياة جماعيّة، ولا يمكن أن تـدار إلّا عن طريق التعاون**

(١) الزخرف: ٣٢.

والخدمة المتبادلة، فإذا ما تساوى كلّ الناس في مستوى معيشتهم وقابليّاتهم ومكانتهم الاجتماعيّة، فإنّ أصل التعاون والخدمة المتبادلة سيتزلزل.

بناء على هذا فينبغي أن لا يخدعهم هذا التفاوت، ويظنّوا أنّه معيار القيم الإنسانيّة، إذ: ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون. بل إنّ كلّ المقامات والثروات لا تعدل جناح بعوضة، في مقابل رحمة الله والقرب منه»[1].

هل الخدمة والتسخير إذلال ؟

يحاول أعداء الإسلام ومن يهمّه توجيه الطعنات إلى الدين، أن يدخل من خلال كلمة التسخير في الآية الكريمة، ليستدلّ على أنّ الإسلام دين يمارس الطبقيّة، ويكرّسها من خلال إباحته لتسخير العمّال في خدمة ذوي النفوذ والطبقة المترفة والمقتدرة ماديّاً، إلّا أنّ المدقّق فيما تعنيه الآية الكريمة، يتبيّن له أنّ معنى الآية لا يعني إطلاقاً أنّ «**جماعة معيّنة من البشر، تسخّر جماعة أخرى لأنفسها تسخيراً ظالماً يمتصّ الدماء والجهود، في حين أنّ الأمر ليس كذلك، بل هو استخدام الناس بعضهم بعضاً، أي أنّ كلّ جماعة من الناس لهم إمكانيات واستعدادات خاصة، يستطيعون العمل بواسطتها في مجال ما من شؤون الحياة، وهم بطبيعة الحال يقدّمون خدماتهم في ذلك الحقل إلى الآخرين، كما أنّ خدمات الآخرين في الحقول الأخرى تقدّم إليهم.**

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٦ ص ٤٤.

فالتسخير هو استخدام متبادل، وخدمة ذات طرفين، وبتعبير آخر: فإنّ الهدف من التسخير هو التعاون في أمر الحياة، ولا شيء آخر. ولا يخفى أنّ البشر لو كانوا متساوين جميعاً من ناحية الذكاء والاستعداد الروحيّ والجسميّ، فسوف لن تتهيّأ مستلزمات الحياة الاجتماعيّة، والنظم الحياتيّة مطلقاً، كما أنّ خلايا جسم الإنسان لو كانت متشابهة من ناحية البنية والرقّة والمقاومة، لاختلّ نظام الجسم، فأين خلايا عظم كعب القدم القويّة جداً من خلايا العين الرقيقة؟ إنّ لكلّ من هاتين مهمّة خاصّة بنيت على أساسها. والمثال الحيّ الذي يمكن أن يضرب لهذا الموضوع هو الخدمات المتبادلة في جهاز التنفّس، ودوران الدم، والتغذية، وسائر أجهزة بدن الإنسان، التي هي مصداق واضح ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً، في إطار نشاطات البدن الداخلية، فهل يمكن الإشكال على مثل هذا التسخير؟»[1].

مكانة العامل

يتعاطى الإسلام مع مسألة العامل من منطلق إنسانيّ، فالعامل كسائر البشر، ولا ينقص من قدره أنّ يكون أجيراً لقاء عمله، كما أنّ عمله لدى إنسان آخر، لا يعلي من مقدار ذلك الإنسان، فالأجير والمستأجر في الإنسانيّة سواء، وهذا ما تحكم به الفطرة السليمة.

وبناء على هذا المبدأ، لا بدّ وأن تبنى عليه سائر المسائل، ومن الأمور التي أكّد عليها الإسلام بخصوص العامل:

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج١٦، ص٤٥ - ٤٦.

١ - الرأفة به:

بمداراتـه وعدم القسوة في التعاطي معه بتحميله ما لا يحتمل أو ما يفوق طاقته، وفضل المداراة كثير، بل إنّ هناك عشرات الروايات التي أشارت بشكل مباشر وغير مباشر إلى فضل المدارة، منها ما روي عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مـداراة الناس نصـف الإيمان، والرفـق بهم نصف العيش**»[١].

وفـي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس، في غير ترك حقّ**»[٢].

٢ - العفو عنه:

فيما لو أخلّ بغير قصد ببعض ما أوكل إليه، وهذا ما كان من أخلاق أهـل البيت عليهم السلام، ففـي الرواية أنّه جعلـت جارية لعليّ بـن الحسين عليه السلام تسكـب الماء عليه وهو يتوضّأ للصـلاة، فسقط الإبريق من يد الجاريـة على وجهه فشجّه، فرفع عليّ بن الحسين عليه السلام رأسه إليها، فقالـت الجارية: «إنّ الله عزّ وجـلّ يقول ﴿**والكاظميـن الغيـظ**﴾.

فقال عليه السلام لها: **قد كظمت غيظي.**

قالت: ﴿**والعافين عن الناس**﴾.

قال عليه السلام لها: **قد عفا الله عنك.**

قالت: ﴿**والله يحبّ المحسنين**﴾[٣].

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ١١٧.

(٢) تحف العقول- ابن شعبة الحراني - ص ٤٢.

(٣) الآيات من سورة آل عمران: ١٣٤.

قال عليه السلام: **إذهبي فأنت حرّة**»[1].

ويكفي ما في العفو من الفضل، ما ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أوقف العباد نادى منادٍ: ليقم من أجره على الله وليدخل الجنّة، قيل: من ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس**»[2].

ومن وصيّة الإمام عليّ عليه السلام - للأشتر لمّا ولّاه مصر -: «**ولا تكونـنّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه... ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة**»[3].

خير الطعام

إنّ العمّال أكرمهم الله تعالى لأنّ كسبهم من خير الكسب، فهو من عرق الجبين وكدّ اليمين، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما أكل أحد طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبيّ الله داود كان يأكل من عمل يده**»[4].

فينبغي النظر إليهم بالعين التي نظر إليهم فيها الإسلام، ولهذا ينبغي رفع الظلم الذي يلحق بهم، من خلال أداء حقوقهم إليهم كاملة

(١) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١ ص ٣٤٥.
(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ ص ٢٠١٢.
(٣) م. ن. - ج ٣ ص ٢٠١٣.
(٤) ميزان الحكمة - محمد الري شهري - ج ٣ ص ٢٦٩٩.

دون نقصـان، لتحقيـق العدالة التي حثّت عليهـا الروايات الواردة من آل بيـت العصمـة والطهارة عليهم السلام، ففـي الرواية عن أميـر المؤمنين عليه السلام: «**ما عمرت البلدان بمثل العدل**»[1].

وعنه عليه السلام: «**جعل الله سبحانه العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً من المظالم والآثام، وتسنية للإسلام**»[2].

فهـل سيأتـي اليوم الـذي نرى فيـه العمّال في غايـة الإنصاف من البشر، ولا يعانون من التمييز والاضطهاد؟

هـذا ما يتوقّف عليه سلـوك كلّ فرد منّا، حينما يشعـر بالمسؤوليّة الشرعيّة والإنسانيّة تجاه العامل، فيكفّ أذاه عنه، ومن إصلاح النفس يبدأ مشوار الألف ميل، لتحقيق العدالة الاجتماعيّة.

(١) ميزان الحكمة - محمد الري شهري - ج ٣ ص ١٨٣٩.

(٢) ميزان الحكمة - محمد الري شهري - ج ٣ ص ١٨٣٨.

الفصل الرابع

* الكذب
* الفحش
* الغضب

الكذب

تمهيد:

لا يختلف اثنان من صحاح الفطرة على قبح الكذب الذاتيّ، ولا على ذمّ الكذّاب من الناس، ولا يختلفان أيضاً على أثره المسيئ على النفس الإنسانيّة وعلى سائر الناس.

فكـم من كذبة فصمت ودّ أخ عن أخيـه، وكم من كلمة نميمة ولّدت حرباً، أو خصومة لم تنتهِ.

ولخطـورة هذا الأمر، وما يتضمّنه من أذيّـة للنفس أوّلاً وللآخرين ثانيـاً، سنسلّط الضـوء عليه سائلين الله تعالـى أن يعصمنا من الزلل والخطأ.

كذب أم أكاذيب ؟

المعـروف بين الناس بالكـذب هو الكذب في القـول وعدم الوفاء، حيث يضمّ إلى الكذب أيضاً، إلّا أنّ علماء الأخلاق عدّدوا مراتب أخرى للكذب، لا تقلّ خطورة عن الكذب المشهور بين الناس، إذ يقول العلّامة النراقي قدّس الله نفسه الزكيّة:

«الكذب وهو: أمّا في القول، أي الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هـي عليه، وصدوره إمّا عن العداوة أو الحسد أو الغضب، فيكون من رذائـل قـوّة الغضب، أو من حبّ المال والطمـع، أو الاعتياد الحاصل

من مخالطة أهل الكذب، فيكون من رذائل قوّة الشهوة.

أو في النيّة والإرادة، وهو عدم تمحيضها بالله، بألّا يكون الله سبحانه بانفراده باعث طاعاته وحركاته، بل يمازجه شيء من حظوظ النفس. وهذا يرجع إلى الرياء، ويأتي كونه من رذائل أيّ قوّة. وأمّا في العزم، أي الجزم على الخير، وذلك بأن يعزم على شيء من الخيرات والقربات، ويكون في عزمه نوع ميل وضعف وتردّد يضادّ الصدق في العزيمة، وهذا أيضاً من رداءة قوّة الشهوة.

وأمّا في الوفاء بالعزم، فإنّ النفس قد تسخو بالعزم في الحال، لعدم مشقّة في الوعد، فإذا حقّت الحقائق، وحصل التمكّن، وهاجت الشهوات، انحلّت العزيمة، ولم يتّفق الوفاء بالعزم، وهذا أيضاً من رذائل قوّة الشهوة ومن أنواع الشره.

وأمّا في الأعمال، وهو أن تدلّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتّصف هو به، أي لا يكون باطنه مثل ظاهره ولا خيراً منه. وهذا غير الرياء، لأنّ المرائي هو الذي يقصد غير الله تعالى في أعماله، وربّ واقف على هيئة الخشوع في صلاته، ليس بقصد به مشاهدة غيره سبحانه، ولكنّ قلبه غافل عن الله وعن الصلاة، فمن نظر إلى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع والاستكانة، يظنّ أنّه منقطع إلى جناب ربّه، وحذف ما سواه عن صحيفة قلبه، وهو بكلّيّته عنه تعالى غافل، وإلى أمر من أمور الدنيا متوجّه. وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة الطمأنينة والوقار، بحيث من يراه يجزم بأنّه صاحب السكينة والوقار، مع أنّ باطنه ليس موصوفاً بذلك. فمثل ذلك كاذب في عمله، وإن لم يكن مرائياً ملتفتاً إلى الخلق، ولا نجاة من هذا الكذب إلا باستواء السريرة والعلانية، أو كون الباطن أحسن

من الظاهر. وهذا القسم من الكذب ربّما كان من رذائل قوّة الشهوة وربّما كان من رذائل قوّة الغضب، وربّما كان من رداءة القوّة المدركة، بأن كان باعثه مجرّد الوسواس.

وأمّا في مقامات الدين، كالكذب في الخوف والرجاء، والزهد والتقوى والحبّ والتعظيم، والتوكّل والتسليم، وغير ذلك من الفضائل الخلقيّة. فإنّ لها مبادئ يطلق الإسم بظهورها، ثمّ لها حقائق ولوازم وغايات، والصادق المحقّق من نال حقائقها ولوازمها وغاياتها، فمن لم يبلغها كان كاذباً فيها»[1].

الرذائل والكذب

بناء على ما أورده العلّامة النراقي قدس سره فإنّ كثيراً من المساوئ الأخلاقيّة مردّها إلى الكذب، بالإضافة إلى العديد من الذنوب الأخرى، فالرياء الذي يظنّ أنّه ذنب وسيّئة أخلاقيّة هو أمر راجع إلى الكذب، في دعوى التوحيد في العبادة، وكذلك ادّعاء المقامات، أي مقامات القرب من الله تعالى، من دون تحقّقها واقعاً يُعدّ من الكذب، رغم أنّ نفس الادّعاء هو مجرّد قول لا أكثر.

موقف الشرع من الكذب

ذمّ الشرع المقدّس الكذب بكلّ أشكاله، واحتقر الإنسان المتّصف بهذه الصفة، إذ تجد من الروايات والآيات الكثيرة التي أشارت لقبح هذه الصفة، والنهي عن الوقوع في شرّها، ومن هذه الروايات ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أعظم الخطايا اللسان الكذوب**»[2].

---

(١) جامع السعادات - النراقي - ج ٢ ص ٢٤٧.

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ ص ٢٦٧٢.

وممّا روي في احتقار صاحب الكذب، ما روي أيضاً عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا كذب العبد، تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به**»[1].

بل اعتبر القرآن الكريم الكذب من صفات الذين لا يؤمنون بالله تعالى، فالمؤمن الحقيقيّ هو الذي لا يكذب، ولو كذب فإنّ هذا يدلّ على خلل ما في حقيقة إيمانه، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾[2].

وورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - لمّا سُئل: «أيكون المؤمن جباناً؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **نعم**.

قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **نعم**.

قيل له: أيكون المؤمن كذّاباً؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **لا**»[3].

علاج الكذب

ذكر علماؤنا الأعلام علاجاً للمصاب بمرض الكذب، وأوّل العلاج الذي ذكروه أن يكثر الإنسان في تأمّل الآيات والروايات الذامَّة لهذا العمل، ليدرك أثرها الأخرويّ المأساويّ والمخزي، يقول العلّامة النراقي قدّس الله نفسه الزكيّة:

---

(١) م. ن. - ج ٣ ص ٢٦٧٣.

(٢) النحل:١٠٥.

(٣) ميزان الحكمة - الري شهري - ج ٣ ص ٢٦٧٣.

«أوّلاً: أن يتأمّل في ما ورد في ذمّه من الآيات والأخبار، ليعلم أنّه لو لم يتركه لأدركه الهلاك الأبديّ. ثمّ يتذكّر أنّ كلّ كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا، ولا يعتني أحد بقوله، وكثيراً ما يُفتضح عند الناس بظهور كذبه. ومن أسباب افتضاحه أنّ الله سبحانه يسلّط عليه النسيان، حتّى أنّه لو قال شيئاً ينسى أنّه قاله، فيقول خلاف ما قاله، فيفتضح. وإلى ذلك أشار الصادق عليه السلام بقوله: «إنّ ممّا أعان الله به على الكذّابين النسيان»[1].

«ثمّ يتأمّل في الآيات والأخبار الواردة في مدح ضدّه، أعني الصدق كما يأتي، وبعد ذلك إن لم يكن عدوًّا لنفسه، فليقدّم التروّي في كلّ كلام يريد أن يتكلّم به، فإن كان كذباً يتركه وليجتنب مجالسة الفسّاق وأهل الكذب، ويجالس الصلحاء وأهل الصدق»[2].

آثار الكذب

من المناسب الإشارة لبعض آثار الكذب التي ذكرها القرآن الكريم، والروايات الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآل البيت عليهم السلام فمنها:

١ - عدم الهداية:

إذ يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾**[3]، ويقول في آية أخرى:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[4].

---

(١) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٢ ص ٢٤٥.

(٢) جامع السعادات - النراقي - ج ٢ ص ٢٥٦.

(٣) الزمر:٣.

(٤) غافر: من الآية ٢٨.

٢ - النفاق:

إذ يقـول سبحانه وتعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[١].

٣ - فقدان الهيبة بين الناس:

فالكاذب يحتقـره المجتمع ويمجّه، وينظر إليـه بعين الريبة دوماً، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فيما روي عنه: «**ثمرة الكذب المهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة**»[٢].

وعن السيّد المسيح عليه السلام: «**من كثر كذبه ذهب بهاؤه**»[٣].

٤ - فقدان الثقة:

وهذا أمـر طبيعي جدّاً، فكيف يصدّق الناس رجلاً معروفاً بالكذب بل يُعدّ التصديـق بكلامه من السفه والحمق، وقد جاء في الرواية عن الإمـام علـيّ عليه السلام: «**من عُـرف بالكـذب قلّت الثقـة به، مـن تجنّب الكذب صدقت أقواله**»[٤].

٥ – الفقر:

ففـي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الكذب ينقص الرزق**»[٥]، **وعن الإمام علي** عليه السلام: «**اعتياد الكذب يورث الفقر**»[٦].

---

(١) التوبة: ٧٧.

(٢) ميزان الحكمة – الريشهري – ج ٣ ص ٢٦٧٧.

(٣) م. ن. – ج ٣ ص ٢٦٧٧.

(٤) م. ن. – ج ٣ ص ٢٦٧٧.

(٥) م. ن. – ج ٣ ص ٢٦٧٨.

(٦) م. ن. – ج ٣ ص ٢٦٧٨.

الفحش

تمهيد:

الفحش، وهو تلفّظ الكلمات النابية والبذيئة التي يستقبحها العرف، آفّة لو ابتلي بها الإنسان وفقد السيطرة على نفسه، يتسبّب بأذى شديد للآخريـن، لأنّ الفحشـ ليس مجرّد ذكـر عورة أو عمل غيـر لائق، بل يتضمّن نيلاً من أعراض الآخرين في غالب الأحيان.

ويترفّـع الإنسان السويّ وذو الفطرة النقيّة عن كلام الفحش، كما أنّ للشرع المقدّس موقفاً منه، وهذا ما سنسلّط الضوء عليه في درسنا هذا إن شاء الله تعالى.

حرمة الفحش

وقفـت الشريعة موقفاً قاسيـاً من الفحّاش حيـث حرّمت الفحش، ونبدأ من كتاب الله تعالى إذ يقول جلّ وعلا: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[1].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم – في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ –: «**هو الفاحش اللئيم**»[2].

وفي تفسير القمّي قال: العتلّ العظيم الكفر الزنيم الدعيّ.

وبمقـدار ما نهت الروايات والآيـات الشريفة عن الفحش في القول

(١) القلم:١٣.

(٢) ميزان الحكمة – الري شهري – ج ٣ ص ٢٢٧٧.

والعمل، فقد أكّدت من جهة أخرى على أهميّة القول الحسن، يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾[1].

حيث أكّد الله على القول الحسن قبل تأكيده في الآية على الصلاة والزكاة، وكذلك لو طالعنا الروايات لوجدنا نفس الشيء، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللّعان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف**»[2].

وللفحش مراتب!

يلجأ بعض المتهتّكين من الفاحشين إلى التبجّح بحالهم وبفسقهم حين ارتكابهم لهذه المعصية، ولا يبالون بغضب الله الذي يلحق بهم حينما يسلكون هذا الطريق الخاطئ، وقد ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام هذه الفئة من الناس ووصفها بالسفه، فعنه عليه السلام: «**أسفه السفهاء المتبجّح بفحش الكلام**»[3].

إلّا أنّ بعضاً من الناس أيضاً يبالغون أكثر من ذلك، ويمعنون غوصاً في الفحشاء، إذ يحاولون أن يسخّروا كلّ قدراتهم في التعبير، لابتداع فحش أفحش ممّا هو معروف لدى الناس، ويتبارون فيما بينهم لا على البرّ والتقوى، وإنّما على من يسخط ربّه والعياذ بالله تعالى أكثر.

الفحش سلاح اللئام

قرنت الروايات الشريفة صفة اللؤم بالرجل الفحّاش، ولعلّ ذلك

---

(١) البقرة: ٨٣.

(٢) ميزان الحكمة - الري شهري - ج ٣ ص ٢٣٧٦.

(٣) م. ن. - ج ٣ ص ٢٣٧٦.

لأنّ مـن لا يتورّع عن شتم أعراض الناس، يحمل في نفسه مرض اللؤم والحقد على الآخرين، من أدنى سبب بل من أتفه سبب أحياناً.

ففـي الروايـة عـن الإمـام الباقـر عليه السلام: «**سـلاح اللئـام قبيـح الكلام**»[1].

السباب وسيلة العاجز

بعضـ الناس لا تمتلك القدرة على الإقنـاع من خلال الحوار، لأنّها لا تبنـي أفكارها ومعتقداتها وآراءها على أساس علميّ، بل تتبنّى فكراً قابـلاً للنقـد بكلّ سهولـة، وبسبب عـدم تمكّنها من تقبّـل النقد الذي يحطّـم أفكارهـا الواهية، تقـوم في المقابـل بردّ لا عملـيّ على النقد الموجّه لأفكارها، وهو السباب وتكفير الآخر وتجهليه، وتحويل النقاش الموضوعيّ البنّاء من وسيلة لتطوّر العلم والمعرفة، إلى ساحة للصياح والسباب، والتعرّض بالشتم أو اللّعن.

إنّ هـذا النوع من العاجزيـن عن بناء أفكارهم علـى أسس متينة، والذين لم يربّـوا أنفسهم على تقبّل النقـد والنصيحة، واللامتورّعين عـن شتم الآخـر، هم العاجـزون لا عن إثبـات أفكارهـم فحسب، بل عاجزون عن التطوّر، لأنّ قطع الحوار بهذه الطريقة يلغي تطوّر الفكر، ويبقي الشخص المتمسّك بهذا الخُلق السيّئ، أسير رغبته في الانتقام ممّن يعتقد أنّه «مسّ بمروءته، أو يحاول تحطيمه».

الفاحش شرّ الناس

تصنّـف المجتمعات البشريّة المحافظة على القيم الرجل الفاحش فـي خانة الطبقة الدنيا من المجتمـع، ويعتبرونه من الأشخاص الذين

(١) م. ن. - ج ٣ ص ٢٣٧٧.

يعاب مصاحبهم، ولذا ترى الفاحشين يصاحبون من شابههم من الناس.

وعدّت الروايات الشريفة المتّصفين بهذه الصفة بأنّهم شرُّ الناس، ففي الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ من شرِّ الناس من تركه الناس اتّقاء فحشه**»[1].

ولم تكتفي الروايات بعدّ الفحّاش من شرِّ الناس بل أوعدته النار، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من خاف الناس لسانه فهو في النار**»[2].

خاتمة:

السباب واللّعن صفتان لم يرغب الشرع الأقدس في اتّصاف المؤمن بهما، ولينظر المرء لنفسه حين يبتلى بهذه الصفة، وليعلم أنّ الرقيب الحسيب يحسب عليه كلّ كلمة يقولها، وسيسأل عنها يوم القيامة.

وليعلم أيضاً أنّ من يوجّه كلامه البذيء لأعراض الناس، سيوجّه له الكلام يوماً ما، فهل سيقبل بهذا؟

بالطبع لا، فلماذا إذن قبل أن يشتم الآخرين، وينال من أعراضهم التي أوصى الله تعالى بسترها، ولم يقبل ذلك على نفسه؟!

فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**من عاب عيب، ومن شتم أجيب**»[3].

فإذا كان الفاحش يرى لنفسه ميزةً عن الناس، ورفعةً، فهو يحمل فوق فسقِه لفحشه تكبّراً يودي به إلى جهنّم، حيث ينادي المنادي

(١) م. ن. - ج ٣ ص ٢٣٧٧.
(٢) م. ن. - ج ٣ ص ٢٣٧٧.
(٣) م. ن. - ج ٣ ص ٢٣٧٧.

يومئذٍ: ﴿فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1].

فليقف الإنسان مع نفسه قبل أن تخرج أيّة كلمة منه، ليتذكّر ما هي العاقبة، وأنّه في غنى عن عذاب الله تعالى، بسبب كلمة تخرج، حالة غضب، وليعلم أنّ أهل البيت عليهم السلام رفضوا أن يصاحبوا الفحّاشين في الدنيا، فكيف يطمع في لقائهم والقرب منهم في جنّات النعيم، ففي الرواية أنّه كان لأبي عبد الله الصادق عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معه في الحذّائين[2]، ومعه غلام له سنديّ يمشي خلفهما، إذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرات فلم يره، فلمّا نظر في الرابعة قال: يا ابن الفاعلة أين كنت؟

قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده فصكّ بها جبهة نفسه ثمّ قال عليه السلام: «**سبحان الله تقذف أمّه، قد كنت أرى أنّ لك ورعاً فإذا ليس لك ورع.**

فقال: جعلت فداك إنّ أمّه سنديّة مشركة، فقال عليه السلام: **أما علمت أنّ لكلّ أمّة نكاحاً، تنحّ عنّي.** قال: فما رأيته يمشي معه، حتّى فرّق الموت بينهما»[3].

(١) النحل: ٢٨.

(٢) منطقة فيها صانعو أحذية.

(٣) الكافي - الكليني - ج ٢ ص٣٢٤.

الغضب

تمهيد:

المرضـ الأخلاقيّ الأكثر انتشـاراً، وأكثر ما يدخل المرء في دائرة المعاصي، وصفه بعض علمائنا قدّس الله أسرارهم قائلاً:

«وهو كيفيّة نفسانيّة موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج للغلبـة، ومبـدؤه شهـوة الانتقام، وهو مـن جانب الإفـراط، وإذا اشتدّ يوجـب حركـة عنيفـة، يمتلـئ لأجلها الدمـاغ والأعصاب مـن الدخان المظلـم، فيستـر نـور العقل ويضعف فعلـه، ولذا لا يؤثّـر في صاحبه الوعظ والنصيحة، بل تزيده الموعظة غلظة وشدّة. قال بعض علماء الأخـلاق: «الغضب شعلة نار اقتبست مـن نار الله الموقدة، إلّا أنّها لا تطّلـع إلّا على الأفئدة، وإنّهـا لمستكنّة في طيّ الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد، وتستخرجها حميّة الدين من قلوب المؤمنين، أو حميّة الجاهليّـة والكبـر الدفيـن مـن قلـوب الجبّاريـن، التـي لها عـرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1]، فمن شأن الطين السكون والوقار، ومن شأن النار التلظّي والاستعار»[2].

إلّا أنّ الغضـب بحـدّ ذاته ليس بصفـة قبيحة، بل الذهـاب به إلى

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) جامع السعادات - النراقي- ج ١ ص ٢٥٥.

حيث لا يرضـي الله تعالى هو المذموم منه، فالغضب مطلوب في كثير مـن الأمـور، وأوّلها الحميّة في الدفـاع عن الحقّ وأهلـه، والغيرة على الأهل والعيال، والانتقام من أعداء الله تعالى، ولكنّ استخدام الغضب فـي غير هذه المـوارد، ولا سيّما الموارد التي ينبغـي فيها التراحم هو المذموم والمنهيّ عنه.

مفتاح كلّ الشرور!

إنّ الغضب المذموم هو الذي وصفته الروايات بأنّه مفتاحٌ لكلّ شر، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغضب مفتاح كلّ شرّ**»[1].

«**والسبب في ذلك أنّ حالة الغضب تخرج الإنسان من حالة التعقّل إلـى الاندفـاع الشديد وراء غريزة الانتقـام والتشفّي، وهذا الاندفاع الشديـد قد يجرّ الإنسـان لمرحلة يفقد فيها السيطـرة على نفسه، فينتهـك حرمـات الله التي نهى عنهـا، وممّا يلزم الغضـب من الآثار المهلكـة الذميمـة، والأغراض المضـرّة القبيحة: انطـلاق اللسان بالشتـم والسبّ، وإظهار السـوء والشماتة... وإفشـاء الأسرار وهتك الأستـار والسخريـة والاستهـزاء، وغيـر ذلك من قبيـح الكلام الذي يستحيـي منه العقلاء، وتوثّـب الأعضاء بالضرب والجرح والتمزيق والقتـل، وتألّـم القلـب بالحقـد والحسـد والعـداوة والبغض، وممّا تلزمـه: النـدامـة بعـد زواله، وعـداوة الأصدقـاء، واستهـزاء الأراذل، وشماتـة الأعـداء. وتغيّر المزاج، وتألّم الروح وسقـم البدن، ومكافأة العاجل وعقوبة الآجل**»[2].

---

(١) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٥ - ص ٢٥٨

(٢) جامع السعادات - النراقي - ج ١ ص ٢٥٨

ولذلك كانت النصيحة بتـرك الغضب، مفتاحاً لتخلّص الإنسان من جلِّ الشرور التي يمكن أن يرتكبها، وهذا ما كان ينصح به رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روي أنّه قال رجل للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا رسول الله علّمني قال: إذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذاك، فمضى إلى أهله، فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلمّا رأى ذلك لبس سلاحه، ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تغضب» فرمى السلاح، ثمّ جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدّو قومه، فقال:**

يـا هـؤلاء، ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر، فعليّ في مالي أنا أو فيكموه.

فقـال القوم: «**فمـا كان فهو لكـم، نحـن أولى بذلك منكـم، قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب**»[1].

جمرة من إبليس

إذا نظرنـا لحالة الغاضب، أي لمظهره الخارجيّ في حالة الغضب، وكيـف يحمرّ وجهه ويتغيّر حاله، سنعرف حتماً لماذا وصفت الروايات الشريفـة الغضب بأنّه جمرة من الشيطـان، الذي خلقه الله تعالى من النار، ففي الرواية عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان، توقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكـم إذا غضـب احمّرت عيناه، وانتفخـت أوداجه، ودخل الشيطان فيـه، فـإذا خـاف أحدكـم ذلك مـن نفسـه، فليلـزم الأرض، فـإنّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك**»[2].

---

(١) الكافي - الكليني- ج ٢ ص ٣٠٤

(٢) م. ن. - ج ٢ ص ٣٠٥

لا تغضب

أوصت الروايات الشريفة بشكل لا يوصف من حيث الكثرة المؤمنين بتـرك الغضب، ووعدت الملتزم بهـذه الوصيّة الجزيل من الثواب، يوم يقوم الناس لربّ الأرباب، فممّا جاء في آثار عاقبة ترك الغضب:

١ – غفران اللّه تعالى:

ففـي الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**مكتوب في التوراة فيمـا ناجى اللّه عزّ وجل به موسـى عليه السلام : يا موسى أمسك غضبك عمّن ملّكتك عليه، أكفّ عنك غضبي**»[١].

وعـن رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : «**من كـفّ نفسه عـن أعراض الناس، أقال اللّه نفسـه يـوم القيامـة، ومن كفّ غضبه عن الناس، كف اللّه تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة**»[٢].

٢ – الستر:

أي السـتـر مـن الفضيحة في الدنيـا والآخرة، وهـذا من الرحمات الإلهيّة الكبرى فقـد جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : «**من كفّ غضبه ستر اللّه عورته**»[٣].

٣ – انتصار اللّه له:

إكرامـاً منه سبحانه وتعالى لعبده المؤمـن المسيطر على غرائزه،

---

(١) م.ن. –ج ٢ ص٣٠٣.

(٢) م.ن. –ج ٢ ص٣٠٥.

(٣) م.ن. –ج ٢ ص٣٠٣.

فقـد جـاء في الروايـة عن الإمـام الصـادق عليه السلام: «**إنّ فـي التوراة مكتوبـاً: يـا ابـن آدم اذكرنـي حين تغضـب، أذكرك عنـد غضبي، فلا أمحقـك فيمـن أمحـق، وإذا ظُلمـت بمظلمة، فارضـ بانتصاري لك، فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك**»[1].

كيف نعالج الغضب؟

ذكـر العلماء الكثير من الطرق لمعالجـة الغضب، وقال بعضهم أنّ هذا المرض لا علاج له، إلّا أنّ الموعظة لا شكّ بأنّها تترك الأثر الكبير فـي نفس الإنسان، وتحليل الحالة التـي تجرّ المرء لارتكاب هذا العمل المذموم يبصّر المرء بحقيقتها.

ففـي حالة الغضـب، ينبغي على المريض بـه أن يعلم بأنَّ الغضب لا يعنـي الرجولة أبداً، وإن كان يمنح المرء حالـة من السيطرة على محيطـه، يقول العلامة النراقي قدس سره: «**والعجب ممن توهّم أن شدّة الغضـب مـن فـرط الرجوليّـة، مـع أنّ ما يصـدر عـن الغضبان من الحركات القبيحة، إنّما هو أفعال الصبيان والمجانين، دون الرجال والعاقلين، كيف وقد تصدر عنه الحركات غير المنتظمة، من الشتم والسـبّ بالنسبة إلـى الشمس، والقمر، والسحـاب، والمطر، والريح، والشجر، والحيوانات والجمادات، وربّما يضرب القصعة على الأرض، ويكسـر المائدة، ويخاطـب البهيمة والجماد، كمـا يخاطب العقلاء، وإذا عجـز عـن التشفّي، ربّما مزّق ثوبه، ولطم وجهه، وقد يعدو عدو المدهوش المتحيّر، وربّما اعتراه مثل الغشية، أو سقط على الأرض**

(١) م.ن. -ج ٢ ص٣٠٤.

لا يطيق النهوض والعدو. وكيف تكون مثل هذه الأفعال القبيحة من فرط الرجوليّة، وقد قال رسول الله ﷺ: «الشجاع من يملك نفسه عند غضبه»[1].

«ثمّ بعد هذا، يلزم المصاب بالغضب أن يبتعد قدر الإمكان عن المسبّبات والمهيّجات لطبعه، فالبعد عن الأمور المستفزَّة يخفّف من هذه الحالة، ومن الأمور الأساسيّة التي تهيّج الغضب «العجب، والفخر، والكبر، والغدر، واللجاج، والمراء، والمزاح، والاستهزاء، والتعيير، والمخاصمة، وشدّة الحرص على فضول الجاه والأموال الفانية، وهي بأجمعها أخلاق رديّة مهلكة، ولا خلاص من الغضب مع بقائها، فلا بدّ من إزالتها حتى تسهل إزالته»[2].

ثمّ على الإنسان أن يتدبّر في ما أوعد الله تعالى به المنتهك للقانون الإلهيّ، وما أعدّه من توعّد للغاضب بغضبه.

وبعد ذلك يبقى عليه أن يذكر الله دائماً عند غضبه، اتّباعاً لما ورد في الروايات الشريفة.

---

(١) جامع السعادات - النراقي - ج ١ ص ٢٥٨.

(٢) م. ن. -ج ١ ص ٢٥٩.

الفصل الخامس

* قضاء الحوائج
* النصيحة، فنُّها، أدبها

قضاء الحوائج

تمهيد:

إنّ المجتمـع البشـريّ مبنـيّ علـى التفاعل بين أفـراده، فلا يمكن لإنسـانٍ أن يعيش منعزلاً بشكل كامل عـن سائر البشر، وينشأ من هذا التفاعل الأمور الإيجابيّة والسلبيّة على حدّ سواء.

لـذا قد يختلف الناس وقد يتّفقون، وقـد يصل النزاع بينهم لحدٍّ لا يتصوّر من حروبٍ وعـداوات، وقد يحلّ السلم بينهم بشكل مذهل، إذا تكاتف أبناء المجتمع ورعوا مصالح بعضهم، وعمّ بينهم الإخاء.

ولأنّ المجتمعـات لا تترك حالها بـدون قانون يرعى أحوالها وينظّم العلاقـات بين الأفراد، كانت القوانين الوضعيّـة والديانات السماويّة، وسنسلّـط الضـوء في هـذا الدرس علـى صفة من الصفـات التي أكّد عليها الإسلام بشكل كبير جدّاً، ألا وهي خدمة أفراد المجتمع الإيمانيّ لبعضهم البعض.

طرق الحقّ خدمة الخلق

قدّست الشريعة الإسلاميّـة خدمة المؤمن للمؤمن وقضاء حاجته، ولـو حاولنـا استقصـاء الروايات الكثيـرة التي وردت في هـذا الشأن لضاق بنـا المقام، إلّا أنّه من المناسب الإشـارة إلى بعض المحفّزات التـي أشارت إليها الروايات الشريفـة، لتحريض المؤمنين على خدمة

بعضهـم، فعلى الصعيد الدنيويّ، فالله تعالى يتكفّل بحاجة من يقضي حاجـة أخيه المؤمن، كما جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من كان في حاجة أخيه المؤمن المسلم، كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه**»[1].

وأمّا على الصعيد الأخرويّ

١ - الأمن يوم القيامة:

مـن العذاب الإلهـيّ والجزاء المستحقّ علـى التقصير في أداء حقّ الله تعالـى، ففي الرواية عن الإمـام الكاظم عليه السلام: «**إنّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة**»[2].

٢ - الثواب:

فبعد الأمن من العقاب الإلهيّ، يزيد الله تعالى من رحمته بأن يعطي قاضـي حوائج المؤمنين ثواباً كبيـراً، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مـن سعـى في حاجة أخيه المسلـم طلب وجه الله، كتب الله عزّ وجلّ له ألف ألف حسنة**»[3].

بـل إنّ بعض الروايات وصفت أجر قضاء حاجـة المؤمن بأكثر من أجر الجهاد في سبيل الله تعالى، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مشى في عون أخيه ومنفعته، فله ثواب المجاهدين في سبيل الله**»[4].

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج ١ ص ٧٠٠.

(٢) م. ن. -ج ١ ص ٧٠٠.

(٣) م. ن. -ج ١ ص ٧٠٠.

(٤) م. ن. -ج ١ ص ٧٠١.

وروي عـن الإمام الصادق عليه السلام – في حديث طويل –: «**لأن أسعى مـع أخٍ لـي فـي حاجةٍ حتَّى تقضى، أحبُّ إليَّ مـن أن أعتق ألف نسمة، وأحمل على ألف فرس في سبيل الله مسرجة ملجمة**»[1].

بل عـدّت بعض الروايات قضـاء الحوائج مـن حيث الفضـل بأنّه أفضل من فضل الحجّ، وتزيد عنه بعشر مرات، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لَقضَاءُ حاجة امرئٍ مؤمنٍ أفضل من حجّة وحجّة وحجّة، حتى عدَّ عشرَ حجج**»[2].

وفـي قمّة الروايـات التي مجّدت هـذا العمل، وتحدّثـت عن جزيل الثواب الموعود من الله تعالى عليه، ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من قضى لأخيه المؤمن حاجة، كان كمن عبد الله دهره**»[3].

فـأيّ ثوابٍ بعد هذا الثواب، وكيـف لا يطمع المرء في خدمة الناس وقضـاء حاجتهم، بـل إنّ المغبون حقًّا من أضاع العمر ولم يلتفت لهذه الفرصة، التي تعتبر جواز سفر إلى السعادة الأخرويّة.

أحبُّ الناس إلى الله

ليس غريباً أن تصف الروايات من يسعون في قضاء حاجات الناس بأنّهـم أحبّ الناس إلـى الله عزَّ وجلّ، لأنهم يجسّـدون أسمى المعاني الإنسانيّـة وأرقاهـا، وهو العطـاء، ففـي الرواية عن الإمـام الصادق عليه السلام: «**قال الله عزّ وجلّ: الخلق عيالي، فأحبّهم إليّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حاجاتهم**»[4].

---

(١) م. ن. –ج ١ ص ٧٠٠.

(٢) م. ن. –ج ١ ص ٧٠١.

(٣) م. ن. –ج ١ ص ٧٠١

(٤) م. ن. –ج ١ ص ٧٠٠

لا تؤذِ ذوي الحاجة

إذا لـم يرد الإنسـان السعي في حاجـات المؤمنيـن، وأراد تضييع الفرصة، أو لم يكن قادراً على ذلك، فلا بدّ أن يلتفت لمسألة في غاية الأهميّـة، وهـي أنّه بمقدار مـا أوعد اللّه تعالى من الثـواب على قضاء الحاجـة، بمقـدار مـا أوعد بـه على أذيّـة ذوي الحاجـات، من خلال التصرّفات غير المناسبة، التي قد يلجأ لها المرء، للتهرّب من الحرج الذي قد يشعر به للأسباب الآنفة الذكر، ومن هذه الأعمال:

١ - ترك الصدّ والمنع:

مـع القدرة على المساعدة، وكم هو مرعـب ما جاء في الرواية عن عاقبـة لهذا العمـل، فقد روي عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**أيّما رجل مسلـم أتـاه رجـل مسلـم في حاجـة، وهو يقـدر على قضائهـا فمنعه إيّاهـا، عيّـره الله يـوم القيامة تعييراً شديـداً، وقال لـه: أتاك أخوك فـي حاجـة قد جعلت قضاءها في يدك، فمنعتـه إيّاها زهداً منك في ثوابهـا، وعزّتي لا أنظـر إليك اليوم في حاجة، معذّباً كنت أو مغفوراً لك**»[١].

وأصعب مـن هذه الرواية ما روي عن الإمـام الكاظم عليه السلام: «**من قصـد إليـه رجـل من إخوانـه، مستجيـراً به فـي بعض أحوالـه، فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عزّ وجلّ**»[٢].

نسـأل اللّه تعالـى أن لا نكون مـن المخذولين يـوم القيامة، الذين وصفتهـم الرواية عن الإمـام الصادق عليه السلام: «**ما مـن مؤمنٍ يخذل**

(١) م.ن. ج ١ ص ٧٠٢.

(٢) م.ن. ج ١ ص ٧٠٢.

أخاه وهو يقدر على نصرته، إلّا خذله الله في الدنيا والآخرة»[1].

٢ - ترك الاحتجاب:

أي التهـرّب كأن يقول لمن يستقبله أنّه فـي شغل عنه ولا يقدر على لقائـه، فهذا التصرّف يعتبر من التصرّفـات التي نهت عنها الروايات الشريفة، فعـن الإمام الصادق عليه السلام: «**من صار إلـى أخيه المؤمن فـي حاجتـه أو مسلمـا فحجبه، لم يزل في لعنـة الله إلى أن حضرته الوفاة**»[2].

وما أشدّ عقوبـة هذا العمل في الرواية المرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أيّمـا مؤمـن كان بينـه وبيـن مؤمـن حجاب، ضـرب الله عزّ وجـلّ بينـه وبين الجنّـة سبعين ألف سـور، ما بين السـور إلى السور مسيرة ألف عام**»[3].

خاتمة:

مـا ألطف ما ورد فـي فضل قضاء الحاجات، وأخوف ما جاء في ردّ السائـل والمحتاج إلـى المساعدة، فلنسع قدر الإمـكان لكي نكون من الصنف الأوّل، والّذين باركهم الله، ووصفهم بأنّهم أحبّ الناس إليه.

وليقف الواحد منّا مع نفسه وقفة تأمّل، بين القليل من الجهد والعظيم من الأجر، وليفكّر في الراحة الأبقى والأجر الأسمى، وبين الراحة الزائلة بزوال الدنيا، والمال الذاهب بذهاب العمر، فأيّ الأمرين نختار؟

---

(١) م. ن. -ج ١ ص ٧٠٢.

(٢) م. ن. -ج ١ ص ٧٠٣.

(٣) ميزان الحكمة - الري شهري - ج ١ ص ٧٠٣.

النصيحة، فنُّها، أدبها

تمهيد:

الحـوار ضـرورة اجتماعيّة، ولا غنـى عنه بين النـاس، إذ بالحوار يتفاهمون على الأمور المشتركة التي تعنيهم.

ولكنّ للحـوار آداباً وفنًّا، ويتفاوت فنّ الحوار بين شخصٍ وآخر، لذا ترى بعض الناس متميّزين بقدرة كبيرة على التحاور والإقناع، وآخرين يتلعثمون في تبيـان مقاصدهم، وقد يكون ذو الفكر الخاطئ بليغاً، وذو الفكرة الصحيحة ضعيف البيان.

ويتّخـذ الحوار بين أفـراد المجتمع أشكالاً متعـدّدة، فمنه العلميّ، ومنـه التعليميّ، إضافة إلى أنواع أخرى مـن الحوار للتفاهم والتعايش بين الأفراد.

وسنسلّـط الضوء فـي هذا الدرس علـى نوع من أنـواع الحوار وهو النصيحـة، مشيريـن إلى آدابهـا وأساليبها، التي وردت فـي الشريعة الإسلاميّـة الغرّاء، سائلين الله تعالى التوفيق لما فيه رضاه، إنّه سميع مجيب.

للمستنصح حقّ!

لـم تمرّ الشريعة على النصيحة مرور الكـرام، بل أعارتها اهتماماً خاصّاً، فالتناصح إن لم يكن بالطريقة المناسبة، فقد يتحوّل لعداوات

أو تصـارع بين المتناصحين، لـذا أورد الإمام زين العابدين عليه السلام له فقرة كاملة، في رسالته رسالة الحقوق، حيث قال عليه السلام:

«**حـقّ المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة لـه والرفـق بـه، وحـقّ الناصـح أن تليّـن لـه جناحـك، وتصغـي إليـه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته، ولم تتّهمه وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك، إلّا أن يكون مستحقًّا للتهمة، فلا تعبأ بشيءٍ من أمره على حال**»[1].

وسنتعرّض هاهنا لبعض الفقرات شرحاً وتفصيلاً:

١ - أدِّ النصيحة

وهـو مـا أشار إليه عليه السلام بقولـه: «**حـقّ المستنصح أن تـؤدّي إليه النصيحة**»، فالمراد به من طلب منك النصيحة، فأوّل الحقوق له عليك أن تنصحه بما لديك من خبرة تعلّمتها في الحياة، لا أن تحجب علمك المكتسب عنه، فالعلم ليس حكراً على حامله، وقد جاء في الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**زكاة العلم أن تعلمه عباد الله**»[2].

٢ - إرفق به

فـلا تكن عليه فظًّا غليظـاً، معيباً عليه قلّة إدراكـه ولو كان كذلك، فليـس من المعيـب أن لا يعلم المرء، بل المعيـب أن يبقى على الجهل، والمستنصـح سلك طريقاً ندبه إليه العقل فـي استشارة ذوي العقول، واستنصـاح أولـي التجارب، فلا ينبغـي الإساءة له مـن خلال الغلظة

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج ٤ ص ٢٢٧٩.

(٢) الكافي- الكليني - ج١، ص٤١.

والتعنيـف، يقول الله تعالـى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُـمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

هـذا فيما يتعلّق بحـقّ المستنصح على الناصـح، وأمّا حقّ الناصح على من يؤدّي إليه النصيحة، فيشير إليه الإمام عليه السلام وهو:

١ - الاستماع له:

وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «**وحقّ الناصح أن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك**».

فأمّـا لين الجناح فهو من باب التواضع لمن هو أعلم منك، وأعقل، وأمّـا السمـاع فهـو من بـاب التـأدّب في الحديـث، فمـن الأدب عدم المقاطعة، والإنصات لمن يتحدّث إليك.

وقد جـاء في الرواية عن الإمـام عليّ عليه السلام: «**إسمعـوا النصيحة ممّن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم**»[2].

٢ - الطاعة:

هذا إذا كان في رأيه صلاحاً، وتوافقاً مع الشريعة والعقل، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله: «**فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته، ولم تتّهمه وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلّا أن يكون مستحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيءٍ من أمره على حال**».

وأمّا لزوم طاعتـه فيما لو أسدى لك النصح الحسن الذي فيه خير الآخـرة، فلأنّـه يحمـل إليك خيرك، بل مـا هو أبقى لـك، و﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[3].

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) ميزان الحكمة - الري شهري - ج ٤ ص ٣٢٨١.

(٣) الرحمن: ٦٠.

وقد جاء فـي الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام: «**مـن أمرك بإصلاح نفسك، فهو أحقُّ من تطيعه**»[1].

بل إنّ مـن التوفيقات الإلهيّة للإنسان المؤمن، أن يكسر نفسه التي تتأبّـى غالباً سماع النصيحة، أن يستمع ويطيع الناصح، وهذا ما أشار إليـه أمير المؤمنين عليه السلام فيما روي عنه: «**طوبـى لمن أطاع ناصحاً يهديه، وتجنَّب غاوياً يُرديه**»[2].

وفـي روايـة أخـرى عنـه عليه السلام: «**مـن أكبـر التوفيـق الأخـذ بالنصيحة**»[3].

نعـم طوبى لهـم، لأنّ في استماع النصيحة كسـراً لكبرياء النفس وعنفوانهـا، وينبغـي على مستمـع النصيحـة تحمّل المـرارة التي قد تتضمّنهـا، وأن لا يؤدّي ذلك للإنزعاج الشخصيّ من الناصح، الذي لا يستهدف أشخاصنا، بل تقويم أعمالنا أو دلّنا على ما فيه الصلاح لنا، فعلـى المستمع الإنصيـاع أوّلاً وآخراً لقول الحقّ، علـى صعوبة تحمّله، وقـد جاء في الرواية عن الإمـام الباقر عليه السلام: «**إتّبع من يُبكيك وهو لك ناصح،ولا تتَّبع من يُضحِكك وهو لك غاشّ**»[4].

لأنّ بعـد المـرارة النفسيّـة التي يتحمّلهـا المرء، حـلاوة الوصول للمرام،كمـا جـاء في الرواية عن الإمـام عليّ عليه السلام: «**مـرارة النصح أنفع من حلاوة الغشّ**»[5].

---

(١) ميزان الحكمة – الري شهري – ج ٤ ص ٣٢٨٠.

(٢) ميزان الحكمة – الري شهري – ج ٤ ص ٣٢٨١.

(٣) م. ن. –ج ٤ ص ٣٢٨١.

(٤) م. ن. –ج ٤ ص ٣٢٨١.

(٥) م. ن. –ج ٤ ص ٣٢٨١.

أحبب ناصحك

يتذمّر البعض من الأشخاص الذين يتوجّهون إليهم بالنصيحة، والأولى أن يقدّر هؤلاء الناس الذين يبذلون لنا كلّ الخير ممّا علمتهم إيّاه الحياة، أو اكتسبوه في عمرهم المليء بالتجارب، فهم أفضل الناس بالنسبة لنا، وهم من يدلّنا على الصلاح بدون منّة أو مقابل، ووصيّة أهل البيت عليهم السلام لنا أن نحبّ هؤلاء الناس، فقد جاء في الرواية عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**ليكن أحبَّ الناس إليك المشفق الناصح**»[1].

ناصح لا يستمع إليه

وهو الذي يشكونا يوم القيامة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾[2].

إنه كتاب الله تعالى، كتاب الهداية للبشر، والذي يصفه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «**إتّعظوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله... واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ... واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم**»[3].

فهل أنّ كتاب الله تعالى هو المستنصح لنا دوماً، وهل نقيم له في تقييم أمورنا وزناً، هذا ما نسعى لأن نكون عليه، لأنّ الناصح في حياتنا العادية قد يغشّ، وقد يموّه، وقد يضلّل، وقد يدلّنا خطأ على غير طريق الصلاح، أمّا القرآن فلا؛ لأنّه الكتاب الذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ**

(١) م. ن. -ج ٤ ص ٣٢٨١.

(٢) الفرقان: ٣٠.

(٣) ميزان الحكمة - الري شهري - ج ٤ ص ٣٢٨١.

وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

(١) فصلت: ٤٢.

الفصل السادس

* البيئة

البيئة

تمهيد:

يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

لقة امتنّ الله تعالى على العباد في هذه الآيات ببعض ما أنعمه عليهم، وهو شيء قليل جدًّا لا يعدّ أمام نعمه التي لا تحصى ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2].

لكنّ الآية الكريمة أشارت لنوع خاصّ، من النعم، التي خصّها الله تعالى لكي يستفيد منها الإنسان، فعدّ سبحانه وتعالى في أوّل الآية الحيوان الذي يستفاد من لحمه ووبره، ومن ظهره لقطع المسافات،

(١) النحل:٥ – ١١.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

وبعـد ذلك ذكر سبحانه الزرع والشجر علـى أصنافه، أي ما يؤكل منه في الطعام، أو يتفكّه به من الفاكهة.

كلّ هذا لأجل هذا الإنسان، ولكي يكتفي منها بما يقيم أوده، ويهدّئ من قلق نفسه التوّاقة للكمال دائماً.

لكنّ السؤال الذي ينبغي أن يطرح في المقام هو: ماذا فعل الإنسان في مقابل هذه النعم؟

وهل أدّى شكرها بالشكل الكامل؟

وهل للشرع المقدّس توجيهات تختصّ بهذه النعم؟

هـذه الأسئلة وغيرها سنشير إليها باختصار، سائلين الله تعالى أن يوفّقنا لأداء حقّ شكره.

الإنسان والبيئة

أنيـط بالإنسان خلافة الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّـكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَـا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَـاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَـا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]. ومعنى الاستخلاف هـو أنّ الإنسـان وصـيّ على هـذه البيئـة (الأرض)، ومستخلف على إدارتها وإعمارهـا وأمين عليها، ومقتضى هذه الأمانة أن يتصرّف في مـا استخلف فيه تصرّف الأمين عليها، من حسن استغلالها وصيانتها والمحافظة عليها.

ولكنّ الإنسان لـم يحسن حفظ الأمانة التي استخلف عليها، وفرّط بهـا عبـر التاريخ، من خلال إفسـاده فيها، قال تعالـى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُـرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا

(١) البقرة: ٣٠.

﴿مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[2].

فأحرق الإنسان الغابات، وأرسل قمامته إلى المياه التي جعلها الله تعالى لكلّ الكائنات، وسلّط المياه الفاسدة إلى الينابيع العذبة، واستخدم النفط الذي هو من الكنوز، في الصناعات التي تلوّث الهواء الذي يتنفّس منه، إلى ما لا يعدّ ويحصى من أسباب التلوّث، في مقابل ما لا يحصى من النعم!

وبناءً على هذه العلاقة الجدليّة بين الإنسان والطبيعة أو البيئة، كان لا بدّ إذاً من اشتمال هذا الدين على أحكام للبيئة، لأنّها من الأمور التي تشكّل طرفاً في العلاقات مع الإنسان محور التشريع.

الدين والبيئة

دعا الدين الإسلاميّ الحنيف إلى نبذ الإسراف ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3]، وقال تعالى في مورد آخر: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[4].

ودعا الإسلام أيضاً إلى سلوك الطريق الوسطى، فلا إفراط ولا تفريط، وهو مبدأ عامّ لا يختصّ في جانب معيّن، وإنّما نهى الإسلام

(١) هود: ١١٦.
(٢) الروم: ٤١.
(٣) الأنعام: ١٤١
(٤) الأعراف: ٣١

عـن الإسراف لما فيه من أضرار كثيرة، وهـو كلّ سلوك يتعدّى الحدود المعقولة والمقبولة، وبخصوص موضوع البيئة، فإنّه يتمثّل في الإستخدام المفرط لموارد البيئة، بما يشكّل خطراً وضرراً على البيئة ومواردها.

والحـقّ أنّ الإسراف فـي استخدام موارد البيئة قـد يهدّد البشرية بأخطار كثيرة؛ فمثلاً الإسراف فـي قطع الأشجار والنباتات، أدّى إلى مثـل جرف التربة والفيضانات العنيفة، وانتشار التصحّر في المناطق التـي كانت مغطّاة بنضرة الأشجار الخضـراء، ممّا أدّى إلى الإختلال فـي دورة الأوكسجيـن وثانـي أوكسيد الكربـون وغير ذلـك. والقرآن الكريم دعا من خلال هذه الآيات المباركة إلى الاعتدال والوسطيّة، أي الإستخـدام الراشد والإستثمار دون استنزاف، لأنّ الله جعل لكلّ شيءٍ قدراً، ومنهـا البيئة لأنّها محدودة في قدراتها وثرواتها، والموازنة بين القـدرة الإنتاجيّة للبيئـة وبين النموّ السكانـيّ، والموازنة بين الأعمال اللازمـة لإشبـاع احتياجاتـه المتسارعة، وبين المحافظـة على البيئة سليمة خالية من العطب والخلل، فلا تعني حماية البيئة أن نترك كنوز الأرض في مواقعها، ولا التحريم المطلق للاستفادة من ثروات الأرض الحيوانيّة والنباتيّة؛

﴿قُـلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَـةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْـرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِـنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُـواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَـةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّـلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُـونَ﴾[1]، بل تعنـي الاستفادة دون إسـراف، لأنّ البيئة ليست ملكاً لجيـلٍ بعينه يتصـرّف بها كيف يشـاء، بدون مراعاة لمـن سيأتي من بعده، بل هي ميراث البشريّة جمعاء.

(١) الأعراف: ٣٢.

كيف نحافظ على البيئة ؟

سنشير إلـى بعضٍ من التعاليم التي أرشدنـا الدين الحنيف إليها، لكي نحافظ على ما متّعنا الله تعالى به من النعم، ومن هذه التعاليم:

١ -الحفاظ على التروة النباتيّة:

فقـد حثّ الإسـلام على زراعة الشجر وبارك الـزارع، ففي الرواية روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لرجل سأله فقال له: جعلت فداك أسمـع قوماً يقولون إنّ الزراعة مكروهة، فقال: «**إزرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أجلّ ولا أطيب منه**»[١].

وفـي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لمّا هبط بآدم إلى الأرض، احتاج إلى الطعـام والشراب، فشكا ذلك إلى جبرئيل** عليه السلام **فقال له جبرئيل: يا آدم كن حرَّاثاً**»[٢].

وروي أنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: «**الكيمياء الأكبر الزراعة**»[٣].

وبـارك أئمّة أهل البيـت عليهم السلام المزارعين وذكـروا فضلهم، ففي الروايـة: «سمعـت أبا عبـد الله عليه السلام يقـول: **الزارعون كنـوز الأنام، يزرعـون طيّبـاً أخرجه الله عزّ وجلّ، وهم يـوم القيامة أحسن الناس مقاماً، وأقربهم منزلة، يُدعون المباركين**»[٤].

وكمـا حثّ الإسلام على الزراعة، نهـى عن قطع الأشجار، بل كانت الأوامـر الصريحة تصدر من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لقـوّاده وجيشه، تنهاهم عن قطع الأشجار أو إتلافها، وضرورة المحافظة عليها «**ولا تقطعوا شجراً**

(١) الكافي- الكليني - ج ٥ ص٢٦٠.
(٢) م. ن. ج ٥ ص٢٦٠.
(٣) م. ن. ج ٥ ص٢٦١.
(٤) م. ن. ج ٥ ص٢٦١.

إلّا أن تضطرّوا إليها»[1]، ونتيجة إغفال الإنسان لهذه التوجيهات، وإفراطه في بناء مدنيّته على حساب الموجودات الطبيعيّة لهذه العناصر الضروريّة للحياة، ازداد التلوّث.

٢ -الحفاظ على الثروة الحيوانيّة:

وعندنا من النصوص والأحكام ما يكفي لإلقاء الضوء على مدى العناية بهذه الثروة، كتحريم صيد اللهو الذي يشكّل هدراً وإتلافاً للثروة الحيوانيّة من دون مسوّغ، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يخرج إلى الصيد مسيرة يوم أو يومين، أيقصّر في صلاته أم يتمّ؟ فقال: «**إن خرج لقوته وقوت عياله فليفطر وليقصّر، وإن خرج لطلب الفضول فلا ولا كرامة**»[2].

بل نهت الرواية حتّى عن قتل العصفور بدون حاجة لأكله، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من دابّة - طائر ولا غيره - تُقتل بغير الحقّ، إلّا ستخاصمه يوم القيامة**»[3].

٣ - الحفاظ على الثروة المائيّة:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**أنّا صببنا الماء صبّاً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حبّاً * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهة وأبّاً * متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾[4].

فالعلاقة واضحة بين الماء وإنبات النبات، ولا شكّ أن قلّة الماء تؤثّر سلباً على نموّ النبات، وبالتالي على حياة الحيوان، فالواجب

---

(١) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٥ ص ٥٨.

(٢) م. ن. -ج ٨ ص ٤٨٠.

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - الحديث ٤٥٣٦.

(٤) عبس: ٢٥- ٣٢.

يقتضي الحفاظ على هذا الماء وعدم الإسراف في استخدامه، والمحافظة أيضاً على نظافته ونقائه من كلّ أنواع التلوّث، فمنع إلقاء الأقذار الإنسانيّة قريباً من مجاري المياه، كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام، وأبو الحسن موسى عليه السلام قائم وهو غلام، فقال له أبو حنيفة: يا غلام أين يضع الغريب ببلدكم؟

فقال: «**إجتنب أفنية المساجد، وشطوط الأنهار، ومساقط الثمار، ومنازل النزّال، ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول، وارفع ثوبك، وضع حيث شئت**»[1].

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُتغوّط على شفير بئر ماء يُستعذب منها، أو نهر يُستعذب، أو تحت شجرة فيها ثمرتها**»[2].

خاتمة:

إنّ الإنسان وأعماله هو التهديد الأكبر للبيئة، فلو كففنا أذى الإنسان عنها لكانت بألف خير، فالبيئة في نفسها لا تتسبّب بالأذى للإنسان، ليقدم بدوره على مجازاتها بهذه الطريقة.

فلو اتّبعنا إرشادات الإسلام، والتي أوصت بالحفاظ على البيئة، لوصلنا لغاية المنى في هذا المضمار، ولتفوّقنا على كلّ أدعياء الحضارة والتقدّم.

إنّ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي هي أساس بقاء واستمرار المجتمعات الدينيّة، لها الدور الأكبر في التوعية والحفاظ على النعمة الإلهيّة، لهذا علينا التأكيد دوماً على هذه الفريضة وعدم تركها، سيّما في هذه المواراد المنسيّة في غالب الأحيان.

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١ ص ٣٢٥.

(٢) م. ن. - ج ١ ص ٣٢٥.

الفهرس

المقدّمة ٥

الفصل الأول

ما هو الأذى؟ ٧
الأذى ٩
آثار الإحسان والإساءة ١٠
كفّ الأذى هو الأخلاق ١١
الأذى غريزة حيوانيّة ١٢
تنوّع الأذى ١٣
ارحموا ثلاثاً ١٣

الفصل الثاني

كفُّ الأذى عن الله ورسوله ١٧
١ - التكذيب برسالته ﷺ ١٨
٢ - أذيّة الرسول ﷺ في أهل بيته عليهم السلام ١٩
٣ - أذيّته من الذنوب ٢٠

الفصل الثالث

كفّ الأذى في الأسرة ٢٥
كفّ الأذى عن الوالدين ٢٦
المجازاة بسوء الصنيع ٢٧

العقوق من الكبائر ٢٩
عاقبة العقوق العاجلة ٣٠
الجار ٣١
الروابط بين البشر ٣٤
قيمة الجار في الإسلام ٣٥
ماذا يربطنا بالجار ؟ ٣٦
من حقوق الجار ٣٧
حقّ الصاحب الأصدقاء والزملاء ٣٩
لماذا نكتسب الأصدقاء؟ ٤٠
لا تفرّط بأخيك ٤١
١ - ذهاب الحشمة ٤١
٢ – ترك الحقوق ٤١
خسارة الإخوان ٤٢
الأجير ٤٥
هل الخدمة والتسخير إذلال ؟ ٤٦
مكانة العامل ٤٧
١ – الرأفة به: ٤٨
٢ – العفو عنه: ٤٨
خير الطعام ٤٩

الفصل الرابع

الكذب ٥٣
كذب أم أكاذيب ؟ ٥٣
الرذائل والكذب ٥٥
موقف الشرع من الكذب ٥٥
علاج الكذب ٥٦
آثار الكذب ٥٧

الفحش ٥٩
حرمة الفحش ٥٩
وللفحش مراتب! ٦٠
الفحش سلاح اللئام ٦٠
السباب وسيلة العاجز ٦١
الفاحش شرّ الناس ٦١
الغضب ٦٥
مفتاح كلّ الشرور! ٦٦
جمرة من إبليس ٦٧
لا تغضب ٦٨
كيف نعالج الغضب؟ ٦٩

الفصل الخامس

قضاء الحوائج ٧٣
طرق الحقّ خدمة الخلق ٧٣
أحبُّ الناس إلى الله ٧٥
لا تؤذِ ذوي الحاجة ٧٦
النصيحة، فنُّها، أدبها ٧٩
للمستنصح حقّ! ٧٩
أحبب ناصحك ٨٣
ناصح لا يُستمع إليه ٨٣

الفصل السادس

البيئة ٨٧
الإنسان والبيئة ٨٨
الدين والبيئة ٨٩
كيف نحافظ على البيئة ؟ ٩١
الفهرس ٩٥